

القسم الثاني

عيسى السراة





# الفصل الأول

## بلاد عسير

مقدمة - حدودها - وعورة بلاد عسير - أودية عسير - الطريق من الخميس إلى أبها

### ١ - مقدمة

« عسير » كاسم جغرافي ، اصطلاح حديث جداً ، يعود تاريخ استعماله إلى حوالي مائة وخمسين عاماً ، ولكنه كاسم قبيلة أو حلف من القبائل ، اصطلاح غاية في القدم . والأصل في الاصطلاح الجغرافي هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها ، فيقال بلاد عسير أو ديرة عسير ، ويقصدون بذلك أوطان القبيلة الشهيرة التي تسكن أعلى السروات ، وعلى الأخص سراة الأزد ، ثم أهملت النسبة واشتهرت البلاد باسم عسير وفي العهد العثماني جعلت بلاد عسير « متصرفية » باسم : « متصرفية عسير » .

أهمل قدماء مؤرخي العرب اسم « عسير » كبلاد ، ولم يرد ذكرها في تقاسيم بلاد العرب المعلومة وهي : الحجاز واليمن وتهامة ونجد والعروض . وجعلوا حدود اليمن متصلة بالحجاز من ناحية السروات ومن ناحية تهامة . وقد أشار إلى ذلك ابن خردادبة حيث قال : « وفيما بين سرّوم راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه العرب غير أنها أعظم منه ، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن » (١) . وقال « ياقوت » : « مهجرة » بلدة في أول أعمال اليمن بينها وبين « صعدة » عشرون فرسخاً (٢) وكانوا يطلقون على هذه البقعة من بلاد العرب : « بلاد السراة » وينسبون كل سراة إلى القبائل الساكنة فيها مثل « سراة جبلان » و « ألّهان » و « المصانع » و « قَدَم »

(١) المسالك والممالك ص ١٣٥ و ١٣٧

(٢) معجم البلدان م ٨ ص ٢٠٨

و «عَدْر» و «هَنُوم» و «سراة خولان» و «جَنْب» و «عَنْز» و «الأزد» وغيرها<sup>(١)</sup>. وكانوا يسمونها كما قال «ياقوت»<sup>(٢)</sup>: «طُوداً» بفتح أوله وسكون ثانيه والدال : اسم عِلْمٍ للجبل المشرف على «عِرْنة» ، وينقاد إلى «صنعاء» ، ويقال له : «السراة» . وكذلك سماها «الهمداني»<sup>(٣)</sup> .

وقد توسعوا في إطلاق لفظ «عسير» على بلاد ليس فيها عسيري واحد كما سنوضحه في محله من هذا الكتاب ، ولكن الذي يعيننا الآن هو أن هذه البقعة الجبلية كانت تقطنها بطون من القبائل اليمنية — وعلى رأى بعضهم : يمانية فنزرت — من أسلم الأزد ، أطلق عليها اسمها فعرفت بهم ودعيت : «بلاد عسير» . وكذلك تعرف قري كثيرة بأسماء ساكنيها مثل «زور آل الحارث» و «حلة آل همام» وغير ذلك مما هو مشهور في بلاد عسير واليمن . ثم لما قويت شوكة القبيلة وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها غطى اسمها على اسم تلك القبائل وأصبحت تعرف باسمها . فلما جاءت الحكومات المدنية وجدت قبيلة «عسير» أشد قبائل تلك المنطقة مراساً وأعظمها هبة ونفوزاً وأكثرها عدداً وعدة ، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم «عسير» وجعلتها الحكومة العثمانية متصرفية كما مر<sup>(٤)</sup> . وسنحاول أن نرسم في النبذة التالية صورة صحيحة عن حدود البلاد التي تسكنها قبيلة «عسير» والبلاد التي تتبعها ، أو التي ضمت إليها .

## ٢ — حدود «عسير»

ذكرت في فصل مضى من القسم الأول كيف حدّد لي الأعراب وادي «بيشة» بأنه يمتد من السعف إلى السعف . والظاهر أن أهل هذه البلاد مولعون بالاصطلاحات المقتضبة التي تغني عن التعريفات المفصلة ، لأنني حينما سألت بعض كبار «عسير» عن

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٦٨ — ٧١

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٧١ و ١١٨ ومعجم البلدان م ٦ ص ٦٧

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١١٨

(٤) قاموس الأعلام م ٥ ص ١٣٥٤

حدود بلادهم أفادنى بتعريف جامع مانع فى عرفهم كتعريف أهل « يشة » لواديهم . قال :

« حدود عسير : من زهران إلى ظهران » . تعريف يعجزأ كبر علماء الجغرافيا عن حل طلاسمه ورموزه ، علاوة على أنه تعريف مبالغ فيه يفيد فى الواقع مدى سلطان قبيلة «عسير» فى وقت من الأوقات أكثر مما يفيد حدود بلاد القبيلة ، فزهران بلاد قبيلة عظيمة تقع بين بلاد الطائف وبلاد غامد ، وتبعد عن «أبها» مركز عسير ١٢ مرحلة المشاة أو تزيد . و«ظهران» مركز « وادعة » من «همدان بن زيد» إلى الجنوب من عسير وقحطان ، بين بلاد قحطان وبلاد «صعدة» فى اليمن . وتبعد بلدة ظهران عن أبها ٦ مراحل للماشى ، فتكون مسافة بلاد عسير بحسب تعريف أهلها وتحديدهم عبارة عن ١٨ مرحلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب . وقد تكون ثلاث مراحل أو أربعاً عرضاً من الشرق إلى الغرب .

غير أن هذا التحديد مبالغ فيه جداً كما ذكرت ، لأنه يشمل بلاد قبائل كثيرة لا توجهها بقبيلة عسير غير رابطة الجوار والخضوع فى بعض الحقب لسلطان أمير أو أمراء من «عسير» ، كما حدث ذلك فعلاً أيام سيطرة «عائض بن مرعى» مؤسس إمارة آل عائض ، وكما وقع أيام ولده محمد بن عائض أكبر أمراء الأسرة العائضية على الإطلاق . والتبائل التى يشملها التحديد المذكور آنفاً هى كما يأتى اعتباراً من الجنوب عند الحدود اليمنية — السعودية إلى الشمال .

- ( ١ ) بلاد وادعة وسنحان ( ٥ ) بلاد بالأحمر ( ٨ ) بلاد بنى شهر  
( ٢ ) بلاد قحطان بأقسامها ( ٦ ) بلاد بالأسمر ( ٩ ) بلاد غامد  
( ٣ ) بلاد عسير ( ٧ ) بلاد بنى عمرو ( ١٠ ) بلاد زهران  
( ٤ ) بلاد شهران .

وقد تكون بلاد «عسير» فى منتصف هذه البقعة الفسيحة من أرض السروات .  
وذكر لى عسىرى آخر حدود قبيلة «عسير» بالنسبة إلى التحديد الصحيح الذى  
تشتمل عليه ديرة القبيلة الحقيقية فقال : « إن بلاد عسير من تمنية إلى شعار » .

والأول جبل عظيم في جنوبي بلاد «عسير» حيث تتألف الأودية الكثيرة مثل «بيشة» و «عِتْوِد» و «ضَلَع» ، والثاني اسم عقبة مشهورة تسمى «شعار» أو «تَيْبَة» ، وهي واقعة في منتهى حدود «عسير» الشمالية بينها وبين بلاد بالأحمر .

قال الهمداني : « سُمَّ يَواطِن حَزِيمَة من شامِها عسِير قبائل من عَنز ، وعسِير يمانية تَنزرت ودخلت في عَنز ، فأوطان عسِير إلى رأس تَسِيَة وهي عقبة من أشرف تهامة وهي أبها ، وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال ، عُثر عليه على رأس ثلثمائة من تاريخ الهجرة والدَّارَة ، والفُتَيْحَا ، واللَّصْبَة ، والمَلْحَة ، وطَبَب ، وأتانة ، وعُجَل ، والمُعوث ، وجُرَشَة ، والحَدْبَة . هذه أودية عسِير كلِّها » (١) .

ونقول إن بلاد القبيلة المعروفة باسم « قبيلة عسير » تتألف من الجبال والأودية والسهوب الواقعة بين أعلى السراة الأزدي في الغرب ، وبلاد شهران في الشرق ، وبلاد قطمجان في الجنوب ، والأحمر والأسمر في الشمال . وبعبارة أخرى هي بلاد واقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادي رِكان الممتد إلى الحُقوف البحر من جهة الجنوب ، وبلاد بنى شعبة وربيعة اليمن ورجال ألمع ووادي حلي من جهة الغرب ، وعقبة شعار ووادي تَيْبَة والسهب الممتد إلى بلاد بالأحمر من الشمال ، وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق . وإذا قيست المسافات بالساعات للمشاة كانت المسافات من شعار في الشمال إلى تمنية في الجنوب ثلاثا وعشرين ساعة بالمشى السريع ، وفيما يلي كشف يوضح هذه المسافة (٢) :

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ — وأسماء الأوطان ما تزال إلى يومنا هذا على تسميتها ما عدا عجل والمُعوث وجرشة والحديبة لم أتصل بها ، وربما تغيرت أسماءها بتقادم الزمن .  
(٢) انظر تفاصيل العقبات والمواقع في الخريطة المرافقة .

	ساعة	دقيقة
من شعمار إلى عقبة آل الحارث	٤	٠٠
من آل الحارث إلى عقبة آل عاصم	١	٠٠
من عقبة آل عاصم إلى عقبة بنى غنمى	٠	٣٠
من بنى غنمى إلى عقبة المسقوى	٠	٢٠
من المسقوى إلى عقبة الشرف أو الصماء	٠	٣٠
من الشرف إلى عقبة السوداء	٢	١٠
من السوداء إلى عقبة السقا	١	٠٠
من السقا إلى عقبة آل عبيد	٢	٠٠
من آل عبيد إلى عقبة المهلل	٠	٣٠
من المهلل إلى عقبة الباطنة	٠	٣٠
من الباطنة إلى عقبة الممصاة	٠	١٥
من الممصاة إلى أبها (أو إلى عقبة ضلع)	٢	٠٠
من أبها إلى عقبة الهضبة	١	٤٥
من الهضبة إلى عقبة عضاضة	٢	٣٠
من عضاضة إلى عقبة آل يزيد	٠	٣٠
من آل يزيد إلى عقبة المسقى	٢	٠٠
من المسقى إلى تمنية وعقبتها .	١	٣٠
المجموع	٢٣	٠٠

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال إلى الجنوب ، وهي — بين أبها وبلاد شهران — تبلغ ٣٥ كيلومترا ، فإذا اعتبرنا بلدة « حجلة » فاصلا بين ديرتى شهران وعسير كانت المسافة من أبها إلى أقصى

حدود عسير في الشرق لا تزيد عن ٢٠ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى شمار تبلغ ٢٨ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى تمنية أقل من ذلك . غير أن السيارة لا يمكنها السير إلا عن طريق خميس مشيط على محاذة مجرى وادي بيشة . وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد قبيلة عسير عبارة عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعرضها ٤٠ كيلومترا على وجه التقريب . فأين هذه المساحة من المساحة الواقعة بين زهران وظهران ؟

### ٣ - وعورة بلاد « عسير »

مثما أطلق اسم القبيلة أو حلف القبائل على البلاد التي تستوطنها ، فلا يستبعد أن يكون لبلاد « عسير » نصيب من اسمها نظراً لوعورتها وضعو بثها . حقا إن بلاد « عسير » عسيرة المرتقى وعرة المسالك كثيرة الجبال والوهاد والأودية . قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعا من جهة المغرب فلا يمكن ارتقاؤها والعبور منها إلا من فجوات حفرتها الطبيعة ونحتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية . وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد من جميع الجهات التي يأتيها الخطر منها ، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لما ، فصمدت لهجمات صموداً عجيباً ، وإن كانت استبيحت مرتين في العصر الحديث بسبب رداءة الدفاع عن حصونها الطبيعية أو بسبب وقوع الحيانة فيها : المرة الأولى حينما هاجمها «رديف باشا» في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من عقبة الصماء واحتل أبها وحرمة وريدة ، والمرة الأخرى بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة حينما هاجمها قوات تهامة المنضوية تحت لواء السيد « محمد بن علي الإدريسي » عام ١٩١٠ ميلادية عن طريق عقبة شعار .

ومنذ وصولي إلى أبها ، وجهت همي إلى اكتشاف الطرق القريبة التي يمكن جتياز السيارات منها إلى تهامة تسهيلا لمواصلات الجيش المحتشد في السراة وفي تهامة ولذلك جست خلال الليار وأنفذت المهندس إلى المواقع التي لم أتمكن من زيارتها

بنفسى ، ولكنى كنت كناطقح الصخرة تتحطم دونها جهوده ، فإن جبال السراة تؤلف حاجزاً قوياً لا يمكن تخطيه إلا من فرجات معدودة يطاق عليها اسم العقبات ، وهى بطبيعتها مبدأ واد منحدر من أعلى الهضبة إلى سفحها ، ثم يمتد الوادى متغلغلا بين الجبال متعرّجا حول الآكام والرّبى ، إلى أن ينتهى عند ساحل البحر فى تهامة .

سأذكر الأودية المنحدرة من أعلى الجبال فى بلاد قحطان وعسير إلى ساحل تهامة فى القسم الخاص بتهامة بمثل الطريقة التى اتبعتها ومازلت أتبعها فى سرد تفاصيل الأودية التى تصفىّ السفوح الشرقية لسلسلة السراة . وقد ذكرت فى القسم الأول من الكتاب ثلاثة أودية منها — تربة ورتية وبيشة — وسأذكر فى هذا القسم وادى تليث ، وأذكر فى قسم نجران الواديين الآخرين نجران وحبونة . ولذلك سأكتفى هنا بذكر مبدأ الأودية فى العقبات المشهورة .

ذكرت فى النبذة السابقة أسماء ١٧ عقبة ، وقد ذكرلى خبراء هذه البلاد عقبات أخرى غيرها ، فبلغ مجموعها ٢٤ عقبة ، لا أرى بأساً من حصرها مع ذكر الجهات التى تصبّ فيها بتهامة :

( ١ ) عقبة شعار ، وتبعد ٢٨ كيلومترا شمالى أبها ، وتقع غربى الحدود الفاصلة بين ديار بالأحر وديار « عسير » . وهى فى الواقع المنفذ المطروق من عسير إلى محائل والقنفذة . والطريق منها إلى أبها ممهد لسير السيارات من أيام الحرب العامة ، وأصعب قسم فيه عقبة أم الرّكب بقرب بلدة « رِضْف » على بعد ستة كيلومترات من أبها .

( ٢ ) عقبة رِجْم ، وتبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورُفيدة من عسير ، وتصبّ فى وادى تَمْنِيَةَ .

( ٣ ) عقبة قضا ، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة ، وتصبّ فى النهاية فى وادى حَلِي بن يعقوب .

( ٤ ) عقبة وسانب ، تبدأ من المسقوى فى بلاد ربيعة ورُفيدة من عسير وتنتهى فى وادى حَلِي .

- (٥) عقبة فوده ، تصبّ في وادي حليّ عند حرف ابن مروهوب في بلاد ألمع .
- (٦) العقبة الصباء ، بقرب تهلّل ، وهي من أصعب العقبات ، وقد يعتبرونها أصعب وأوعر من ضلعّ وشعار ، وتنتهي في بلاد رجال ألمع .
- (٧) عقبة توالب ، تبدأ من جبل السوداء الذي هو أعلى نقطة في سرة عسير ، وتصبّ في وادي العوّص في بلاد رجال ألمع ، وهذا ينتهي في وادي حليّ .
- (٨) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل السوداء أيضا ، وتصبّ في وادي شوكان ضمن بلاد رجال ألمع .
- (٩) عقبة أمطهار ( الطهار ) وتبدأ من السقا وتصب في وادي مرّبة ضمن بلاد رجال ألمع .
- (١٠) عقبة ضفماف ، وتبدأ من السقا وتصب في مرّبة .
- (١١) عقبة ريّدة ، تبدأ من السقا وتصب في مرّبة .
- (١٢) عقبة الصليف ، وتصب في وادي لتوة الذي ينتهي في مرّبة .
- (١٣) عقبة آل الحارث ( الحارث ) تبدأ من المهلّل وتصب في وادي حرّمة الذي ينتهي في مرّبة .
- (١٤) عقبة خشيمة ، تبدأ من المهلّل وتصب في وادي الفينة ثم في مرّبة .
- (١٥) عقبة لؤلؤة ، تبدأ من الباطنة وتحول على وادي الفينة ثم تصب في مرّبة .
- (١٦) عقبة خيمة ، تبدأ من الملكصة وتحول على وادي الفينة ثم تصب في مرّبة .
- (١٧) عقبة ضلع بقرب أبها على بعد كيلومترين منها إلى الجنوب الغربي ، وهي الطريق المطروق من أبها إلى القصبة فدرب بني شعبة فجيزان .
- (١٨) عقبة قِصرى أو الشرف ، وتلتقى مع عقبة ضلع في أسفلها عند منفرج الوادي قبل القصبة .
- (١٩) عقبة الهضبة ، تبدأ بقرب الشرف أيضا وتنزل إلى وادي ضلع .
- (٢٠) عقبة عضاضة ، تبدأ من عضاضة وتنزل إلى وادي ضلع .

(٢١) عقبة آل يزيد ، أو عقبة عِتُود ، وتصب في وادي عِتُود .  
(٢٢) عقبة المسقى ، وتصب في عتود .  
(٢٣) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل تمنية وتصب في وادي ركان ثم في وادي الحُقُور .

(٢٤) عقبة بن حَمُوض أو عقبة شهران من آل ينفع ، تبدأ من تمنية ما بين وادي عتود ووادي بَيْض .

وتوجد بالطبع عقبات أخرى في بلاد قحطان ووادة إلى الجنوب من بلاد عسير ، سأذكرها في حينها ، لأنها هي المنافذ الوحيدة إلى تهامة .  
وانحدار هذه العقبات شديد الميل بعيد المدى ، وقد يستغرق النزول من العقبة بضع ساعات ، كما أنه في بعضها لا يتجاوز الساعة .

وجبال عسير مرتفعة جدا ، وربما كانت أعلى الجبال في السراة بعد دخولها بلاد الملك « ابن سعود » . وقد سجل البارومتر (٩٣١٠) أقدام في قمة جبل « ذرّة » المشرف على أبها ، و (٩١٢٠) قدما في عقبة « ضلّك » ، و (٩٦٢٠) قدما في عقبة « أم الركب » بقرب أبها ، و (٨٧٥٠) قدما في عقبة شعار ، و (١١٠٠٠) قدم في « تَهْلَل » . وكان أعظم ارتفاع سجله البارومتر في السودة إذ بلغ (١١٤٢٠) قدما ويوجد بقرب السودة جبل آخر مرتفع بينها وبين تَهْلَل لم نصل إليه ، ولكن المهندس قدّر ارتفاعه بنحو اثني عشر ألف قدم .

#### ٤ — أودية « عسير »

حينما أتى « الهمداني » على ذكر قبيلة عسير قال : « والدارة والفتيح والصبية والملحة وطيب وأتانة وعبل والمعوث وجُرَشَة وَحَدَبَة : هذه أودية عسير كلها<sup>(١)</sup> » . و« عسير » بلاد الأودية والجبال ، فلا عجب أن تكون كل عقبة من العقبات التي أوردنا

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١١٨ .

ذكرها في الفقرة السابقة رأساً لواد كبير أو صغير ، وقد تكون الأودية الناشئة من رءوس العقبات أودية رئيسية كبيرة مثل « عَتُود » و « حَلِي » و « الحَقُوق » ، وقد تكون فرعية تصب في الأودية الرئيسية .

أما من جهة سفوح جبال «عسير» الغربية فلا أشك في أن كل عقبة تؤلف وادياً اسمه كاسم العقبة نفسها . وسند كر تفاصيل هذه الوديان وما يقوم حولها من قرى ومزارع وعمران في تهامة بعد خروجها من ديار عسير ورجال الملع وبنى شعبة وأهل حلي في بحثنا عن تهامة عسير .

أما من جهة سفوح جبال عسير الشرقية ، فهناك أودية كثيرة قد أهملها «المهداني» الذي نقلنا عبارته في مطلع هذه الفقرة . حقا إن الأودية التي تصفي مياه السفوح الشرقية والجنوبية لعسير غير طويلة ، ولكنها في الواقع من أهم روافد وادي بيشة ، وتجتمع به بقرب بلاد ابن هشبل كما ورد ذكره في بحثنا عن بلاد شهران . وإليك أهم الأودية الكائنة في هذه الجهة من بلاد عسير :

أولاً : وادي خيبي : ينبع من الشِّقَا إلى الغرب من عقبة صَلَع وعلى بعد بضع ساعات إلى الجنوب الغربي عن أبها . وحينما يقرب من أبها يسمى باسمها ، ثمّ يمتد مسافات طويلة حيث ترفده أودية فرعية كثيرة إلى أن يصب في وادي بيشة شهران عند بلاد ابن هشبل ، وتقوم على ضفاف هذا الوادي قرى بني معيد من قبيلة « عسير » . وهو أعظم أودية عسير .

ثانياً : وادي سَحْرَة : ينبع من جبال تهلل ويصب في وادي أبها عند بلدة المَحَالَّة من مراكز بني مالك من عسير ، ويملك البلاد القريبة من رأسه « عَلْكَم » من عسير ، ويملك ما كان في أواسطه وأسفله بنو مالك من عسير .

ثالثاً : وادي المَلَاخَة : وينبع بالقرب من « تَهَلَّل » في بلاد « عَلْكَم » ، وبعد أن يسير مسافة قصيرة يلتقي بوادي أتانة .

رابعاً : وادي أتانة : وينبع بالقرب من « الطَّلْحَة » في ديار « ربيعة

وَرُفَيْدَةَ ، ويلتقى به وادى الملاححة فى قرية « الفَيْيَّة » ، وحينما يلتقيان ينتظير اسماهما ويتحدان فيصبح اسمهما ( الوادى الطويل ) نظراً لطوله ، إذ يسير مسافة طويلة قبل أن يلتقى بوادى أبها عند « الحَنْقَة » قبل بلاد ابن هشبل .

خامساً : وادى طَبَب : يطلع من باحة « ربيعة » ويمرّ على آل بجاد ، ثم يصبّ فى وادى « تمنية » إلى جهة تهامة .

سادساً : وادى جوحان : وينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوبى أبها ، ويصبّ فى وادى أبها عند بلدة « قاعد » و « الدارة » بين بنى مغيد و بنى مالك . وقد زرت هذا المكان فوجدت عند ملتقى الواديين مستنقعا عظيما تجمعت المياه فى بعض أنحائه فكوّنت بركا متممة نما على أطرافها نبات الخلقا والمكّص ، وفيها نوع من السمك ذى اللون الأسود . ويجوار هذه البرك مزار قديم العهد هدمه الإخوان ، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذى القرنين .

سابعاً : وادى ضَلَع : وعالوه الجَنْدَل ، وهى جبال تقع إلى جنوب جبل « ذِرّة » المشرف على أبها والحارس لها من جهة الشرق ، ويصبّ فى وادى عتود الغربى ( أى للتجه إلى تهامة ) .

ثامناً : وادى مَرَبَة : ويخرج من بلدة « رَيْدَة » إلى الغرب من أبها ، ويتجه غرباً بجنوب إلى جهة تهامة حيث يلتقى بوادى ضَلَع قبل أن يصب هذا الأخير فى عتود الغربى .

تاسعاً : وادى عتود : وهو فى الحقيقة واديان أحدهما شرقى والآخر غربى . وكلاهما ينبع من عقبة عتود المذكورة آنفاً ، ولكن أحدهما ينحدر من العقبة إلى جهة الغرب حيث يصب فى البحر ، والآخر يتجه إلى الشمال الشرقى محاذيا وادى بيشة غير بعيد عنه حوالى كيلومترين . وتقوم على هذا الوادى خمس قرى لآل راشد من شهران . وكان من الواجب ذكره فى بحثنا عن شهران لأنه ينبع من عقبة عتود ، وهى كما لا يخفى لآل يزيد من بنى مغيد من عسير . وهذان الواديان هما اللذان قال فيهما الشاعر إنهما مساكن الأسد فى الجزيرة ، كما مرّ بك .

٥ — الطريق من « الخميس » إلى « أبها »

تبلغ المسافة من سوق ابن مشيط في بلاد شهران إلى سوق أبها قاعدة عسير ٣٥ كيلومترا تقطعها السيارة في ساعة وبضع دقائق ، نظراً لوعورة بعض أقسام الطريق الذي افتتحه « محي الدين باشا » متصرف عسير وقائد فرقتها العسكرية أيام الحرب العامة لسير المركبات . و « محي الدين باشا » لم يسلم البلاد إلا عقب الهدنة عام ١٩١٨ ، وقد عين فيما بعد وزيراً مفوضاً لحكومة تركيا في القاهرة .

غادرنا ساحة السوق حيث كان مخيمنا ، ضحى يوم الخميس الواقع في ٢٣ شوال ١٣٥٤ ( ٨ فبراير ١٩٣٤ ) ، وسرنا على جانب وادي بيشة الغربي ، وكانت القرى على يسارنا — وتمتد الطريق في أرض سهلة تتخللها ربي وهضاب كثيرة إلى مسافة ثلاثة كيلومترات عن السوق ، حيث تقوم بلدة « ذهبان » التي يسكنها الأمير سعيد بن مشيط ، وبعد أن تكون الطريق سائرة في اتجاه جنوبي إذا بها تنحرف إلى جهة الشمال الغربي ، بين هضاب صخرية صعبة المسالك طولها كيلو متران . وبعد خمسة كيلومترات من مفرق قصر ابن مشيط نصل إلى واد كبير هو وادي عتود المنوه به في النبذة السابقة .

يبلغ عرض مجرى الوادي أكثر من خمسين مترا ، وينبت على أطرافه الحلقا والغزار والقصب ، ويشاهد المسافر من هذا المكان قرية واقعة إلى جهة الشمال أسفل الوادي هي أول قرأه ، فلما رأيناها قدرنا بعدها عنا بنصف كيلومتر . أما القرى الواقعة على هذا الوادي فهي :

- |             |                |
|-------------|----------------|
| ١ — العطفة  | ٤ — مشرف       |
| ٢ — الخلصة  | ٥ — آل الزعابك |
| ٣ — آل راشد | ٦ — الشعبة     |

وكلها لآل راشد من شهران .

ونظراً لارتفاع أبها عن الخميس لا بد لك من اجتياز عقبات كثيرة في طريقك

من الثانية إلى الأولى ، إذ ما تصل إلى الكيلومتر السابع بينهما حتى تصبح على ارتفاع ٨٢٠٠ قدم عن سطح البحر، وبعد كيلو متر واحد يصل الارتفاع إلى (٨٣٠٠) قدم وحينما تبلغ الكيلو متر الرابع عشر تكون على ارتفاع (٨٣٢٥) قدما ، ومن هذا المكان يشاهد السهل المنبسط المحيط بوادي حِجْلة على بعد ١٥ كيلومتراً ونصف من خميس مشيط .

بلدة « حِجْلة » قرية بنى مالك بن « عسير » ، وهي كبيرة متممة تقوم على أطرافها أبراج كثيرة يسميها أهلها « القصبات » وهي بالفعل قصبة مجوفة لها مدخل ضيق ، يرقى إليها بسلم من الحجارة البارزة من الجدار الأسطواني الشكل . وتستعمل هذه القصبات مراقب للحراسة من هجوم الأعداء المباغت ، وللدفاع عن القرية وما يحيط بها من المزارع .

حينما أشرفت على « حِجْلة » شاهدت منظرا غريبا لم يكن لي سابق عهد بمثله . شاهدت البيوت والقصبات ذات رفارف خالتها لأول وهلة مصنوعة من الصفيح ، وإذا بي حينما اقتربت منها وأنعمت النظر فيها ، يتضح لي أنها مصنوعة من الأردواز الحجري ، ذلك أن طراز البناء في عسير يختلف عنه في بلاد شمران وسواها مما شاهدته من البلاد . فأساس البناء وجدره إلى ارتفاع حوالي متر عن سطح الأرض مبنية بالحجارة ، وما فوق ذلك مبنية بالطين أو اللبن الجفجف بجمرة الشمس ، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمل التأثيرات الجوية والأمطار الغزيرة . ولذلك عمد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدرون بها سقوط الجدران ، بأن أحاطوها من جميع أطرافها برفرف من الأردواز على أبعاد متفاوتة لا تزيد في معظمها على متر واحد ، ولا تكاد تبلغ أحيانا نصف متر . وعلاوة على أن هذا الطراز يكسب البناء شكلا غريبا ، فإنه يدل على مبلغ استفادة القوم من الأسباب التي يملكونها لدرء الأخطار الطبيعية وحماية البيوت من الانهيار .

كانت « حِجْلة » من أعظم قرى « عسير » ، غير أنها أصيبت بضرحة قاصمة عام فتح عسير على يد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، إذ هاجم الإخوان جماهير عسير المجتمعمة

في « حِجْلَة » للدفاع عنها فأبادوها ، وكانت مقتلة عظيمة مازال أهل عسير يذكرونها ويندبون سوء حظهم فيها ، وقد كانوا ذوى شوكة وأنفة وعزّة طوال مدة الحرب العامة ، فأصابتهم هذه النكبة ، وأودت بمقاتلتهم ، وأضعفتهم كثيراً .

نجتاز شَيب « حِجْلَة » عند الكيلومتر السادس عشر ، ثم شَيب المدفن بعد ذلك بكيومتر واحد ، ثمّ نصل إلى هضبة بالقرب من قرية « الغليظ » حيث يكون الارتفاع ( ١٤٥٠ ) قدم ، وحينما نصل إلى الكيلومتر الثالث والعشرين يبلغ الارتفاع ( ١٦٠٠ ) قدم .

نقطع وادي « جوحان » عند الكيلومتر السادس والعشرين ، وبعد مسير ثلاثة كيلومترات تقرب من قرية « الشرف » ، ويستمر التصعيد حتى نبلغ الكيلومتر الثلاثين ، فيصبح الارتفاع ( ١٧٥٠ ) قدم ، ثم بعد قليل يزيد الارتفاع خمسين قدماً أخرى .

وحينما نصل إلى الكيلومتر الواحد والثلاثين نكون قد بلغنا وادي « مشيع » الذي يمر بقرية « مشيع » التي تحسب من قرى « أبها » نفسها ، وبعد قليل نصل إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن وهو ( ١٩٥٠ ) قدم ، ومن هذا المكان نشاهد مدينة « أبها » والتلاع المحيطة بها في أعلى الجبال ، ويظهر لنا قصر « شذا » الذي بناه محمد بن عائض ، ويظهر لنا إلى الغرب من قصر شذا قصر حديث البناء يختلف بطراز بنائه عن « شذا » حيث أنه يشبه قصور بلاد شمران ، بناه عبد الوهاب أبو مباحة على أطلال النكبة العسكرية العثمانية ، وقد علمت أنه كان على طراز حديث ، فجعل البناء الجديد على طراز بلاد شمران .

## الفصل الثاني

### قبيلة عسير

نسب عسير — أقسامها — نسب آل عائش — القبائل التابعة لعسير  
قبيلة ربيعة الين — عادات غريبة في قبيلة ربيعة

#### ١ — نسب « عسير »

تضم قبيلة عسير المعاصرة مجموعة من القبائل المختلفة الأصول البعيدة الأنساب ، غير أن « عسير » الأصلية تختلف في نسبها أنزاري هو أم يمانى . ذكر الهمداني : « عسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز »<sup>(١)</sup> .

وإرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم ، نظراً للاختلاط الذى حصل — خلال الحقب المتطاولة والقرون المتداولة — فى أنساب القبائل وهجراتها ومجالاتها ، وما إلى ذلك من الأسباب الداعية لضياح النسب الأصلي أو اختلاطه .

وقبيلة عسير المعاصرة حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، وهى ترجع أنسابها إلى أسلم من الأزدي سكان السراة .

ذكر الشؤيدى أن « الأزدي من أعظم الأحياء وأمدتها فروعا ، وقد قسمها الجوهري إلى ثلاثة أقسام : أحدها أزدي شنوءة بإضافة أزدي إلى شنوءة وهم بنو نصر ابن الأزدي . والثانى أزدي السراة بإضافة أزدي إلى السراة وهو موضع بأطراف الين نزلته فرقة من الأزدي فعرفوا به . والثالث أزدي عمان بإضافة أزدي إلى عمان وهى مدينة بالبحرين نزلها فرقة منهم فعرفوا بها<sup>(٢)</sup> » .

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ .

(٢) سبائك الذهب ص ٢٣ .

وقبيلة عسير تضم أربعة بطون ، اثنان منها ينسبان إلى أسلم من الأزدي ويأبتهما بعض فرق من شهران وقحطان ، والبطنان الآخران حلفاء للأولين ، والظاهر أن أصلهما يرجع إلى شهران أو قحطان .

أفادني الشيخ علي بن مشيبة أمير كافة « عسير » وهو من بني مغيد ، أن القبيلة متحالفة منذ زمن قديم ، ولسكن كثرتها من الأزدي أزد السراة ، وفيها عناصر من شهران وقحطان ، وهذا طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئ عن الغلبة والسلطان .

لا أستطيع حصر عدد أفراد قبيلة « عسير » بأقسامها الأربعة غير أني علمت أنه قد فرض على عسير من المجاهدين أر بعائة مقاتل في الأوقات المتسادة ، ويمكن أن يطالبوا بمضاعفة هذا العدد فيقدمونه بكل ترحاب والواقع أن فرض عدد من المجاهدين لا يتبع قاعدة واحدة معينة ، وقد يترك أكثر الأحيان إلى تقدير القبيلة نفسها والعادة في مثل هذه الأحوال أن تذكر القبيلة عدداً أقل من عددها الحقيقي بالتأكيد ، فينشأ عن ذلك زعم لا يدل على شيء يمكن الاعتماد عليه في تقدير المقاتلة أو الرجال في القبيلة غير أني قمت بتحريرات واسعة فعلمت أن في إمكان القبيلة أن تخرج حين الضرورة القصوى ألفي مقاتل وعلى هذا الاعتبار يمكن تقدير العدد التقريبي للقبيلة ذكوراً وإناثاً محوالى ٣٥ — ٤٠ ألف نسمة

## ٢ - فروع قبيلة « عسير »

تقسم قبيلة عسير إلى أربعة بطون ، وهى :

( ١ ) بنو مغيد

( ٣ ) ربيعة ورُقَيْدَة .

( ٢ ) عَلَم

( ٤ ) بنو مالك

ولكل بطن عزوة خاصة يتفاخرون بها في الحرب فيقولون : « مغيد الخطى » ،

« عَلَم الهول » ، « ربيعة مساةة الحرب » ، « بنو مالك أهل الصمت » .

والترتيب الذي ذكرناه في تعداد أسماء هذه البطون يتبع مساكنها اعتباراً  
 من الجنوب إلى الشمال . وفيما يلي فروع كل بطن من البطون الأربعة :  
 أولاً : بطن بنى مغيد : وهم أكثر عسير عدداً فضلاً عن أنهم رؤوس القبيلة  
 أمراؤها منذ نحو مائة سنة ، أى منذ احتلال العثمانيين لها بقيادة « محمد على باشا »  
 إلى « مصر » . ويمكن تقسيم هذا البطن إلى أربعة أفخاذ<sup>(١)</sup> هي :

( ١ ) فخذ آل ناجح ، وفيه أقسام كثيرة أهمها :

آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ومنهم آل عائض

آل تمام                      آل فلاح                      آل الحاج

( ٢ ) فخذ آل عبد العزيز ، وفيه أقسام أهمها :

آل مفرح                      العرقة                      آل سكران

آل القبعى                      القدر                      آل بوسراح

آل مشيبة                      آل ضبعان                      آل ضحية

( ٣ ) فخذ آل وازع ، وفيه عدة عشائر أهمها :

آل ويمن                      آل بدلة                      آل المكاس

( ٤ ) فخذ مغيد الوطى وفيه عدة عشائر أهمها :

الشرف                      بنو جعفرى                      أهل الشعف

### ٣ - نسب آل عائض

وبمناسبة ذكرنا لبني مغيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عائض  
 من آل يزيد :

مؤسس الأسرة ومنشئ حكمها عائض بن مرعى من أهل ريّدة من آل يزيد  
 من بنى مغيد . وقد أسلم الحكم من على بن مجتل كما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

( ١ ) في كتابي « قلب جزيرة العرب » جاءت هذه الأنفاذ سبعة ، ولكن تحرياتي  
 لشخصية دلتني على أن تقسيم الحال هو المتعمد . انظر ص ١٩٦

وخلف عائض خمسة أولاد ، هم :

- ( ١ ) محمد بن عائض ، وقد خلف ثلاثة أولاد هم : علي ، وعبد الله ، وعائض
- ( ٢ ) عبد الرحمن بن عائض ، وقد خلف ولداً اسمه محمد بن عبد الرحمن توفي في الرياض منذ بضع سنين ، وله أربعة أولاد هم : حسن ، وناصر ، وعبد الله ، وعائض والأول من الأولاد في « أبها » والثلاثة الآخرون في الرياض .

( ٣ ) سعيد بن عائض ، مات ولم يعقب

( ٤ ) سعد بن عائض ، مات ولم يعقب

( ٥ ) ناصر بن عائض ، خلف أولاداً لم ينسب منهم إلا واحد اسمه « محمد »

له ولد حتى حين كتابة هذا الكتاب .

أما أولاد محمد بن عائض الثلاثة فإن أحدهم ( عائض ) مات ولم يعقب .

وأما علي فله ثلاثة أولاد ، هم :

( ١ ) الحسن ، وهو آخر أمير من آل عائض ، يقيم حالياً في الرياض .

( ٢ ) عائض ، له ولد اسمه يحيى ، أما هو فقد مات

( ٣ ) محمد ، مات ولم يعقب .

وأما عبد الله بن محمد بن عائض فله ثلاثة أولاد ، هم :

( ١ ) عائض ، مات بالرياض ، وله ولد .

( ٢ ) سعيد ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .

( ٣ ) حسن ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .

والأحياء من آل عائض حين كتابة هذه الأسطر هم :

١ — ستة أشخاص يقيمون في أبها ، هذه أسماءهم :

( ١ ) سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض

( ٢ ) حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض .

( ٣ ) حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عائض .

( ٤ ) يحيى بن عائض بن علي بن محمد بن عائض .

( ٥ ) ولد محمد بن ناصر بن عائض .

( ٦ ) ولد عائض بن عبد الله بن محمد بن عائض .

ب — أربعة أشخاص يقيمون في الرياض هذه أسماؤهم :

( ١ ) حسن بن علي بن محمد بن عائض ( أمير عسير السابق ) .

( ٢ ) ناصر بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

( ٣ ) عائض بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

( ٤ ) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

\*\*\*

ثانياً : بطن عدككم من عسير : أفادوني أن هذا البطن يتفرع إلى ستة أقسام هي :

( ١ ) بنو مازن ( ٤ ) بنو القرن

( ٢ ) أهل القصير ( ٥ ) تلادة عبدل

( ٣ ) آل سميدى ( ٦ ) أهل عضاضة بقرب الشعف .

ثالثاً : بطن ربيعة ورؤيدة : يتألف هذا البطن من قسمين لا أشك في أنهما

من العشائر المتحالفة ، ولست أدري ما الصلة بين ربيعة ورؤيدة وبين استعمال الاسمين

كعلم لبطن واحد . إن اسم ربيعة فاش بين قبائل العرب ، وقد عدت خمسا منها

تحمله وقد يكون هنالك غيرها . وكذلك رؤيدة فإنه علم لعشيرة من قبيلة قحطان .

وعلى كل حال فإن هذا البطن ينقسم إلى فخذين :

ا — فخذ ربيعة ، وفيه أربع عشائر هي :

( ١ ) تيهان ( ٣ ) بني غنقى

( ٢ ) آل شدادى ( ٤ ) آل عاصم

ب — فخذ رؤيدة ، وفيه خمس عشائر هي :

( ١ ) آل الحارث ( ٣ ) أهل طبب ( ٥ ) الرفقتين .

( ٢ ) التلادة ( ٤ ) أهل الغال

رابعاً : بطن بنى مالك : هذا الاسم فاش أيضاً ، فهنالك بنو مالك فى جبال تهامة بقرب العبادل وقيفاً وبالخارث ، وهنالك بنومالك جماعة ابن فاضل بين زهران والطائف ، وهنالك هذه القبيلة من عسير ، وأما أقسامها فهى :

- ١ - آل الجمل
- ٢ - بنو رزام
- ٣ - بنو ربيعة
- ٤ - آل الحبشى
- ٥ - آل رميان
- ٦ - بنو منبّه
- ٧ - آل يعلى ، ومنهم أحمد بن مُعديّ أمير بنى مالك
- ٨ - التلادة

#### ٤ - القبائل التابعة لعسير

يساكن فروع قبيلة عسير ويخالطها طبقات من القبائل التى تحسب أدنى فى المستوى الاجتماعى وأقل اعتباراً من القبائل ذات الشوكة والسطوة ، وهى لا تنحصر فى بلاد عسير فحسب ، بل إن منها فروعاً فى بلاد شهران وقحطان ورجال الحِجر . والظاهر أن ضرورة المجتمع البشرى وطبيعة العمران أوجبت إيجاد هذه الطبقات التى تكسب بعرق جبينها من أعمال دنيا فى نظر القبائل الأخرى برغم ضآلة الفروق الموجودة بينها وبين تلك القبائل من ناحية طرق المعيشة وقلة العناية بالكفاءة فى الزواج والنسب .

ولهذه القبائل درجات بعضها فوق بعض . فمنها ما هو - فى طراز معيشتة - أقرب إلى القبائل ذات السطوة ، ومنها ما هو أقرب إلى الصناعات والخدم والمستجدين ، ومنها ما هو كالفجر يكسبون قوتهم من الاستجداء أو المديح أو القيام ببعض الأعمال الحقيرة . وقد ذكر لى من هذه الطبقات ما يأتى :

١ - البلاحة : وهم مثل الفجر مداحون مستجدون . ومنهم أفراد لهم مكانة لا بأس بها من حيث الكرم وحسن الضيافة والمقام بين الجيران ، ومنهم الشعراء المداحون ، لقيت أحدهم فى قرية الملاحة فأنشدنى كثيراً من الشعر النبلى عن وقائع عسير وأيام محمد بن عائض ، وبينها قصيدة فى مديحى ومديح الحكوة . وقد قابلنى

صرة أخرى بمكة فوجدته على عهدى به مداحاً قوالاً حسن العشرة سريع البديهة  
٢ — الكحلة : طبقة أرقى من البلاحة ، وهم فى نظامهم الاجتماعى يشبهون  
القبائل ذات النسب ، غير أنها لا تناسبهم ولا تتزوج منهم .

٣ — الهمان : وهم فى عسير مثل « هتيم » فى الحجاز ، أى من طبقة  
القبائل المنحطة .

٤ — الدواسر : أصلهم من الأرقاء والصناع والخياطين . وهم — بالطبع —  
بخلاف الدواسر ذات العصبية والمكانة والمنعة فى وادى الدواسر ونجد ، فأولئك  
من أشرف طبقات العرب .

٥ — طبقة الصناع : من مُجَبَّب وخرّاز وحداد ومبيض وبرّام . وهم لا يتناسبون  
إلا فيما بينهم .

٦ — الفيوض : وهم العمال الذين يشتغلون فى حياكة النسيج اليدوى الخشن ،  
ومنهم طبقة أدنى من الجميع يسمونها : الخدمان ، أى الأجراء .

### ٥ — قبيلة ربيعة اليمن

جرى العرف فى سائر بلاد السراة وقحطان وشهران على أن يكون لكل قبيلة  
فى السراة أتباع فى تهامة . فقبيلة عسير يتبعها فى تهامة من القبائل العظيمة قبيلة رجال  
المع . ولكن بالنظر لأهمية هذه القبيلة أفردنا لها بحثاً خاصاً ، لاسيما لأنها من ناحية  
العدد والمدّة قد تقرب من قبيلة عسير إن لم تزد عليها ، ولا شك فى أن التبعية إنما  
هى فى السلطان السياسى أكثر منها فى الحالات والعادات الاجتماعية والنسب .

وقد ذكر لى كبار عسير أن فى تهامة أربعة أقسام تتبع القبيلة ، وتتبع بالأخص  
بنى مغيد أو عاكَم ، وتبعيتها لبنى مغيد أكثر ، وهى :

١ — المُضَيَّبون . وهم قرييون جدا إلى بنى مغيد .

٢ — أم نغلة . ويتبعون علكم .

٣ - أهل وادي مربة . ويتبعون علمكم و بنى مفيد .

٤ - ربيعة اليمن . وتحسب من ملحقات بنى مفيد ، وهى المقصودة ببحثنا الحالى نظرا لهماجيتها وغرابة عاداتها وبمدها عن سائر أسباب الحضارة والمدنية .  
تقيم ربيعة اليمن فى وادى ضلّع إلى الجنوب الغربى من « أبها » على بعد منها ، وتمتد منازلها حتى درب بنى شعبة فى أسفل الوادى بعد التقائه بوادى عتود التهاى .

ويبلغ عدد أفراد القبيلة نحو ألفى نسمة . وهى ما تزال على حالة البداوة فتسكن فى مغائر أو خشش بين الصخور ، أو أكواخ مشيدة من الحجارة المرصومة المغطاة بالخصف أو بقطعة من قماش . وقد يكون للكوخ باب صغير جداً يدخل منه المرء حاييا على ركبتيه ، إذ لا أبواب ولا مزالج ولا أقفال ، وهى أكواخ ثقالة ، تنقل من مكان إلى آخر تبعا لحركات القبيلة بحثا عن المرعى . وتعيش القبيلة على تربية المواشى ، ولا تحسن الزراعة مطلقا .

ولرببعة اليمن خمسة فروع هى :

- |             |              |              |
|-------------|--------------|--------------|
| (١) آل زعبة | (٣) الفراحنة | (٥) آل وائلة |
| (٢) آل غراب | (٤) البواح   |              |

٦ - عادات غريبة فى قبيلة ربيعة

سمعت من أخبار هذه القبيلة وعاداتها الغريبة شيئا كثيرا زاد معه شوقى إلى مشاهدة أفرادها من الجنسين ودرس طباعهم وأخلاقهم وتسقط أخبارهم لتفكها قرأى بها ، فاغتنمت فرصة الأسواق الأسبوعية فى « أبها » أيام الثلاثاء من كل أسبوع لمقابلة بعض من يحضر السوق منهم ، والتقاط صور بعضهم وسؤالهم عن أحوالهم ، فوفقت إلى أشياء كثيرة أوضحتها فيما يلى :

تعيش القبيلة حياة بدائية غاية فى الهمجية والوحشية . طعامها خشن ، ولباسها بسيط يتخذ للستر أكثر منه للتدفئة والزينة ، ومساكنها - كما ذكرت فى النبذة

السابقة — مساكن القرون الأولى وهي بمحالتها الحاضرة بميدة قرونا كثيرة عن حالة الحضر من أهل المدن الحجازية بله غيرهم من سكان المدن الكبرى .

أما طعامها فنوع من « العريكة » أو « المصيدة » أو الخبز والسمن . ويندر استعمال القمح بين ربيعة ، وكذلك اللحم فإنه ترفه لا يتناولونه إلا في الأعياد والمواسم أو في حفلات الختان والولائم وما شابه ذلك . والخبز والعريكة يصنعان من الشعير أو الذرة أو الدخن ، ويعصد الدقيق بالماء على النار ثم يسكب في مواعين خشبية غالباً وتحامية حيناً ، وتحفر وسط المصيدة المسكوبة في الماعون حفرة صغيرة تملأ بالزبدة السائلة أو السمن السائح ، فيلتقم الإنسان قطعة من العريكة يغمسها في السمن ثم يزدردها .

وأما لباسها فنزر ( فوطه ) يحيط بالقسم الأدنى من الجسم ، ويربط حول الخاصرة بسبته أو مخصفة أو بعقد طرفيه دون حاجة إلى حزام . وهو لباس الرجال والنساء . وتختص المرأة علاوة على ذلك بلباس يشبه الصديرية القصيرة تناسبه فوق القسم الأعلى من جسمها ، وأحياناً يكون هذا اللباس مئزراً آخر أو مسنفاً يُلف — مثل رداء الإحرام — حول الكتفين أو إحداها وحول الظهر والصدر ، وقد تكون الصديرية قصيرة لا تبلغ حد المئزر الأدنى ، فيبقى قسم من البطن والخاصرة مكشوفاً لا يستره لباس .

وغطاء الرأس عند النساء قبعة من الخوص يسمونها ( طَفَشَة ) وهي على نوعين :

(١) ذات كمنار عريض ، ويختص بها أهل تهامة حيث الشمس محرقة جداً .

(٢) ذات كمنار رفيع تتوسطها أسطوانة بارزة تجعلها أقرب في شكلها إلى القبعات

الأسبانية الأندلسية أو قبعات « السيلندر » لولا أن هذه من الحرير وتلك من الخوص .

أما الرجال فلا يغطون رؤوسهم بل يصفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها

منفوشة بصورة تلقى الذعر في القلوب . وقد يربط الشعر بسبته تمسكه منعاً لتحريك

الرياح له ، وقد يكون الرباط من أزهار البرك أو الشيح أو غيرها .

ويتقلد الرجال خناجر طويلة تسمى « جنبيّة » . وهذه الجنابي مختلفة الأشكال بعضها طويل جداً يشبه السيف القصير ، وبعضها كالخربة المحدبة ، وبعضها كالخناجر الحجازية أو الميانية ، وأكبر الخناجر هي التي يلبسها أفراد رجال ألمع .

ومن أزدل عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجال والنساء من الأ Bakar والثيبات . وقد روى لى عن ذلك روايات أخشى أن يكون مبالغاً فيها كثيراً بسبب التهم الشنيعة التي يوجهها بعضهم إلى هذه القبيلة وسواها من قبائل تهامة قبل قيام الحكم الحالى الذي قضى على هذه العادات الجاهلية وضرب على أيدي مرتكبيها بيد من حديد . وقد لا تزوج البكر زواجاً شرعياً قبل أن تكون قد ولدت ولداً أو أكثر سفاحاً ، والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنت ذات الرقم القياسى في عدد أولاد السفاح . ويسمى ولد السفاح عندهم ( ولد الهيجة ) وفي لهجة أهل البلاد ( ولد أمهيجة ) والهيجة هي الفيضة أو الغابة ، أى الولد الذى ولد في الهيجة وليس على فراش أهله . أما المتزوجات فإنهن محصنات لا يعرفن الباطل ولا السفاح ، ومجرد زواج البكر أو الثيب يلقى عليها ستاراً كثيفاً من الحصانة والحرمة والقدسية . وقد روى لى أن رجلاً غافل متزوجاً في ليلة كانت فيها متمبة نائمة ، فلما عرفت بالأمس ظلت تتعتمبه مدة إلى أن ظفرت به وقتلته رمياً بالرصاص دون أن تطالب بدينته لأنها قتلته دفاعاً عن العرض والشرف . ولا أشك في راوى القصة ، بل اعتبره شاهد عيان لأنه اشترك في تسوية الحادث نظراً لقامه عند القبيلة .

ومن أحسن عادات هذه القبيلة :

( ١ ) إكرام الضيف .

( ٢ ) الحشيدة لثلاثة والفرعة لهم : الخوى والضيف والرفيق إلى أن ينصرف

من الديرة أو إلى أن يهضم طعامه .

( ٣ ) المحافظة على أعراض المتزوجات .

( ٤ ) حفظ جميل المحسن والإشادة بذكره .

غير أن أحيث وأفظح العادات الوحشية عند ربيعة اليمين عمليّة « الختان » ، وهى طريقة فظيمة تنبو عنها الأذواق وتمجّجها الأنفس . والختان هو سلخ جلد العانة من أسفل السرة إلى أواسط الفخذين بما فى ذلك الفرج ، ويكون إجراء العمالية فى جمع حافل من رجال القبيلة ونسائها ، شبيها وشبانها ، بناتها وأطفالها ، تتجلى فيه سماجة الذوق والوحشية .

لم تسكن عادة السلخ محصورة فى ربيعة اليمين ، بل كانت فاشية فى أكثر قبائل تهامة عسير ، ولكن الحكومة الحاضرة قضت عليها وشدت النكير على مرتكبيها فلم يبق من آثارها إلا القليل الزائل مما لا يتصل خبره بالحكومة .

وقد شرح لى بعض من شهد حفلة الختان عند ربيعة مراسم إجرائها ، فرأيت تدوينها فيما بلى :

عيد الختان من أعظم الأعياد والمواسم ، ونظراً للأخطار التى يتعرض لها المختن فإن كثيرين يؤخرون ختانهم سنوات كثيرة قد تصل إلى العشرين أو أكثر ، ولا يجوز ختان من لم يكن بالغاً ، ويعيّن للشبان الطالبين موعد الختان ومكانه ، ويدعى إليه سائر القوم رجالاً ونساء ، وتنحر الأبقار والأغنام من ضأن وماعز بهذه المناسبة . وذكرك لى أنه حدثت وقائع ختان كان الأولاد يحضرون فيها ختان أبيهم مما يدل على أهمية الحادث والتخوف منه ، لأنه فى الحقيقة ضرب من الوحشية الخطرة التى تتطلب الشىء العظيم من الشجاعة والجلد والصبر على الآلام ، وتفضى إلى الموت أحياناً كثيرة .

يقف الشاب الذى ينوى الاختتان فوق دكة مرتفعة فى محضر من النساء لاسيما الأبكار الراغبات فى الزواج ، ولا يكون على الشاب من الثياب ما يتستر به ، بل تكون عورته بارزة من غير حياء ولا خجل . إنها وقمة جبارة تمثل لنا عهد الأبطال الخرافيين أمثال « أبوللو » و « هرقل » ، يقف الشاب متكئاً بيده اليسرى على رمح قصير يتخذه عكازاً يستند إليه عند شدة الألم ، ويحمل بيده اليمنى جنبية

كبيرة يسميها قوم ربيعة « ذريعة » أو « معيرة » ، ويرفع الشاب رأسه منادياً معتزياً ، بينما سكن الجراح تعمل في جلده تقطعه شريحة إثر أخرى . هذا مقام يتبارى فيه الأشداء ، فمن اختاج أو صاح أو بكى أصابته سبة من العار إلى الأبد ، ومن اختاجت أطرافه أو ظهرت عليه علام الخور والضعف ، فهو جبان رعديد لا كرامة له بين الناس ، وليس هو بالبطل الذي يستهوى قلب المرأة فتعتبر اتحاده بعلاها من دواعي فخرها . ومن شدة إغالمهم في اختبار جلد الشاب قد يذرون رملاً ناعماً فوق رجله ، فإن ثبت الرمل عليها اعترف ببطولته ، وإن اهتز أو انتثر فذلك دليل الخوف والرعب والاختلاج من الألم ، والعار كل العار لمن كان هذا شأنه .

ولا يقف المسلوخ ساكناً ، بل عليه أن يمتزى إلى قومه إن كان أصيلاً ، وتكون العزوة غالباً إلى أخواله . وكثير من أولاد السفاح يعتزون بأنهم أولاد « الهيجة » لا أولاد الهيجاء . وقد يطلب الشاب شريحة من جلده ليمسكها على ذكر قوم لهم عليه يد أو منة . والبنات يقفن أمام المسلوخ يشجعنه ويثبتن عزمه بينما عملية القطع والسلخ سائرة دون توقف ، وقد ينادينه بكلام مشجع مفر إلى أن تنتهي العملية الجهنمية . وكثيراً ما يموت الشاب قبل إتمامها ، وطويل العمر من سلم منها ، ثم عليه أن يتحمل أياماً أخر حتى تشفى جراحه . عجب أمر هذا الجنون في الوحشية ، ولكنها التقاليد والخرافات والأوهام تتسلط على أفكار البسطاء والجهلة فتجعلهم يميرون توافه الأمور أهمية لاحتها . ولم أستطع الغور إلى أصل أسباب عادة السلخ ، ولم أجد سبباً معقولاً يفسرها سوى استهداف تربية الشاب على تحمل المشاق والأهوال بدون تدمر أو خوف أو وجل كما كان يجري في « أسبارطة » بموجب قوانين « ليكورغ » الأسبارطي ، وإلا فما معنى طلب المسلوخ لشراخ من جلده يباهى بها صارخاً معتزياً مفتخراً بأن هذه على شرف أعمامه ، وتلك على شرف أخواله ، وهاتيك على شرف من قدم له يداً أو مساعدة ، وأخرى على شرف « الهيجة » ذات المقام الرفيع !؟

بعد انتهاء عملية الختان أو بالأحرى عملية الساخ يصبح للشاب ملء الحرية في الهويل والصياح والتألم والنحيب بقدر ما يريد . ألم يحز لقب البطولة ؟ . ألم يتحمل آلامه بكل ثبات وشجاعة ؟ ، إذن لا تثريب عليه ولا حرج بعد ذلك . وفصل التداوى مأساة أخرى مؤلمة كفصل الختان ، والسوخ الذي يسلم من عملية السوخ قد يقع فريسة بين برائن جراحه المتفئنة ، وكثيراً ما يطول أمد شفائه إلى سنة . وأما العلاج فبسيط جداً : ملح الطعام يذرّ على الجراح للتطهير ، أو نوع من مسحوق الحجارة المخصوصة التي يمزج بها نوع من الأعشاب البرية . هذا كل طبّ « ربيعة » في معالجة جراح السوخ .

روى لى محدثى عن تعبير الشبان بعدم الصبر أثناء عملية الختان أنه كان قادماً من تهامة عام ١٣٤٩ هـ ، فوصل ديرة « ربيعة » فأخبر أن عندهم اجتماعاً كبيراً للنظر في قضية ناشئة عن تعبير أحدهم لشاب بسبب اختلاج رجله وقت ختانه ، فخذ على معيره وقام عليه فقتله انتقاماً منه على إشاعته الكاذبة ، وكان الاجتماع كجلس قضائى عادل للحكم في شأن هذا الشاب : هل اختلج أثناء العملية حقاً ؟ ، وكان سؤال رئيس الاجتماع للمخلفين : « هل اختلج أو لا ؟ » فإن كان قد اختلج فعلى القاتل الدية وإن كان لم يختلج فلا تلزمه الدية ، وكان قول المخلفين أن الشاب لم يختلج ، وكان الحكم النهائى أن القاتل غير ملزم بدية القتل .

## الفصل الثالث

### عمر أن عسير

خصب التربة وغناها - الطرق والمواصلات - أبنائها ونواعها - قرى عسير

#### ١ - خصب التربة وغناها

القسم الهام من الأرض الزراعية في عسير مؤلف من مجارى الشعبان والأودية ومن منخفضات الجبال والفجوات بين الهضاب . والأرض على الإجمال خصبة قوية الإنبات ، غير أنها محتاجة إلى المياه ، فإذا أمطرت السماء أخضبت الأرض وأنبتت محصولا عظيما . وقد شاهدت مدة إقامتى في عسير أن المولى في الزراعة على مياه الأمطار ، فإذا لم ينزل الفيث لم يتمكنوا من زرع الحبوب في الأماكن التي لاتصل إليها مياه الآبار . وعلى فرض تمسك الأهالى من استثمار ما تسقيه المياه المستخرجة بالسوانى من الآبار الواقعة حول مجارى الأنهر ، فإن كميات المياه فى الآبار ذاتها تقل جداً ، بل إن كثيراً من هذه الآبار ينضب فى فصل الصيف . وقد كانت سنة زيارتى لأبها سنة قحط شديد قلت معه الحاصلات الزراعية وتلاشت الماشية ، حتى لقد كنا نشاهد قطمان الماشية سارحة فى البرية لاتستطيع اجتياز ممر السيارة دون أن يذهب بعضها ضحية الدهس ، بسبب هزالها وضعفها الناشئ عن قلة المرعى .

وكان من أثر ذلك أن احتاط أهل عسير وسائر بلاد السراة بخزن الحبوب فى آبار خاصة تحت الأرض لاتصلها الرطوبة ولا يتسرب إليها السوس ليقفوا بها فى السنوات ذات الإنتاج الضعيف . أما إذا جادت السماء بفيث كاف فإن الخيرات فى عسير تكون عظيمة جداً .

وأهم زراعة يعنى بها الأهالىون القمح والشعير والذرة ، وقليل ما هم الذين يزرعون الدخن بخلاف أهل تهامة . ولا يهتمون بزراعة الفاكهة إلا قليلا فى جوار أبها حيث

توجد شجيرات من التين والرمان والتفاح والخوخ والضب . غير أن أشجار الموز والبن تنمو جيداً في الأقسام الغربية من جبال عسير ، ولكنها ليست من السمة وعظيم المحصول بحيث تكفي الأهلين احتياجاتهم . ومن غريب ما لاحظت في زراعة البن أنها لا تزهر إلا على ارتفاع معين من سطح البحر ، فإن تمدته لا تثمر ولا تمش ، ولا تنبت كذلك إلا على السفوح الغربية لمرتفعات عسير واليمن ، أما المرتفعات الشرقية فلا تنمو فيها أبداً . والظاهر أن سبب ذلك جفاف جو السفوح الشرقية ، بينما جو السفوح الغربية رطب .

القمح والشعير هما المحصولان الرئيسان في البلاد ، وعليهما المعول ، وما عداها ثانوى في نظر الأهلين ، لا يشكل قسماً مذكوراً من غذائهم اليومي . والعسل من المنتجات الهامة في عسير ، إذ يتكاثر النحل فيها تكاثراً عجيباً ، ومنه أنواع يجنى منها عسل ناصع البياض بلون السكر النقي ، وقد حملت نموذجاً منه في عودتى إلى الحجاز ، فعجب سأر الذين ذاقوه من منظره ونكهته . وهم يسمون العسل الأبيض : ( مُجْرِي ) والأحمر : ( شوكة ) .

أما الحاصلات الحيوانية فهي الغنم والبقر والماعز . أما الإبل فلا توجد في بلاد عسير نظراً لصعوبة الأرض ووعورتها من جهة واضيق المراعى وشدة البرد من جهة أخرى . وجميع نتاج الحيوان يستهلك محلياً إلا في سنوات الخصب فإنهم يصدرون السمن والغنم إلى الجهات المجاورة . ويمكن وصف هذه البلاد بأنها تكفي نفسها ولا تحتاج إلا إلى الأقمشة والأبازير ، أما الآلات فقليلة الاستعمال لاستغناء أهل البلاد بالمصنوعات المحلية عنها .

وتوجد في عسير معادن أهمها الحديد الموجود في جبل « تَهْل » بجوار السودة ، زاره المهندس المرافق لنا ، ويبعد عن أبها مسافة عشرين كيلومتراً إلى الغرب ويبعد عن قرية السودة حوالى أربعة كيلومترات ، وهو جبل مرتفع مكسو بالأشجار

الدائمة الخضرة ، ذو ينابيع جاررية في الصيف والشتاء ، يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ( ١١٠٠٠ ) قدم . أما السودة فارتفاعها ( ١١٤٢٠ ) قدماً . وقد شاهد المهندس آثار عشرات النقر لإذابة الممدن فيها ، وأحضرت نماذج من الحجر الحديدي أرسلها للتحليل ، فظهرت جودة النوع والسكينة ، غير أنه من الضروري إجراء فحوص وتحاليل كثيرة قبل التثبيت من فائدة الممدن من الوجهة الاقتصادية .

ولا شك في وجود معادن أخرى غير الحديد لاتزال على حالتها الأولى ، ولا يمكن استغلالها إلا بعد حفر واستكشاف وتحليل ، للوقوف على مدى فائدتها الاقتصادية

## ٢ - الطرق والمواصلات

كما يستدل به على رخاء البلاد : موقعها ، وخصب تربتها ، وسهولة مواصلاتها . ومع أن المواصلات في «عسير» لاتزال بدائية إذا استثنينا طريق السيارات إلى بيشة ، فإن موقع عسير وخصب تربتها جعل منها مركزاً هاماً بين اليمن والحجاز ونجد من جهة ، والسراة وتهامة من جهة أخرى .

والطرق الرئيسية المتفرعة من أبها مركز عسير ست ، هي :

أولاً — طريق تهامة : وتبدأ من أبها متجهة إلى الجنوب الغربي مسافة ثلاثة كيلومترات ، ثم تنزل من عقبة ضلع إلى القصبة ، ثم إلى درب بنى شعبة فصبييا فيحيزان .

ثانياً — طريق عقبة الصماء : إلى الغرب من أبها ، وتنزل إلى بلاد رجال ألمع ومنها إلى تهامة ، وبالأخص قوز الجعافرة وحيزان .

ثالثاً — طريق عقبة شعاع : وهي الصلة بين عسير والقنفذة والحجاز بطريق تهامة ، وهي من أعظم الطرق وأهمها من الوجهتين الاقتصادية والعسكرية . وكان من أهميتها أن جعلت القنفذة مركزاً بحرياً لتموين عسير ومركزاً للحكومة وقواتها

العسكرية بطريق بارق ومخائل ، وهي الطريق التي كانت تخترقها الجيوش العثمانية .  
ولذلك فإن « محيي الدين باشا » آخر متصرف الأتراك في عسير قد مهد هذه الطريق  
من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع ، ولكن العقبة نفسها حاجز  
عظيم في سبيل المواصلات ، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق  
ومخائل . وقد باغى أنه كان في نية محيي الدين باشا إكمال تمهيد الطريق إلى  
التنفذة ، غير أن احتلال الأشراف والإدرسي لنهامة والقنفذة حال دون تنفيذ  
عزمه . وتبعد شعار عن أبها مسافة ٢٨ كيلومترا .

رابعا — طريق الحجاز : عن كنف السراة مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة  
إلى بلاد بالأحر والأحمر وبنو عمر حتى بلاد بني شهر فقامد فزهران إلى الطائف .  
وهي طريق للمشاة ، وخاصة أهل الجبال ممن لا يطيقون حر تهامة في الصيف .

خامسا — طريق شهران : وهي التي سلكتها في قدومي من خميس مشيط  
إلى أبها ، وهي صالحة لسير السيارات ، مهدها محيي الدين باشا أيام الحرب العامة ،  
ويبلغ طولها من أبها إلى الخميس ٣٥ كيلومتراً كما سبق بيانه .

سادسا — طريق اليمن : تسير من بلاد عسير في اتجاهين : أحدهما عن طريق  
شهران ثم تنحاز إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان ، والآخر من عسير رأساً إلى  
تمنية ومنها إلى ديار قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة ، وهذه الطريق أصعب الطرق  
وأكثرها وعورة .

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولي العهد طريقا لسير السيارات من أبها إلى خميس  
مشيط فطريب فوادي ثلث فوادي حبوثة حتى نجران ، كما اكتشف طريقا  
أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحيث إن السيارات اجتازتها بكل عناء .  
والمواصلات التليفونية والتلغرافية مفقودة في عسير ، لكن فيها مركزا لاسلكيا  
هاما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية .

٣ — مدينة أبها

حينما اجتازنا وادى « مشيع » ورقينا الهضبة التي تفصل بينه وبين الحزوم التي قامت عليها مدينة « أبها » ، رأينا منظرا جميلا لمجموعة من القرى أو الحلال المنتشرة على ضفاف الوادى المتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى والمشهور بوادى « خبيبي » أو وادى « أبها » . وتمثلت لنا المدينة الشهيرة فى التاريخ الحديث بوقائعها الحربية وحصارها الطويل عام ١٩١٠ وحصارها الأخير طوال مدة الحرب العامة ، وأوحت إلينا — فى الوقت نفسه — بشعور منبعث من القلب ممزوج بنفحة من الأسى والحزن على ما أصابها من تخريب وتدمير خلال النكبات التي حلت بها ، ولمسنا الشاهد على ذلك فيما رأيناه من أطلال القلاع والأبراج المحيطة بها فى أعلى رءوس الجبال المحيطة بأبها وواديها إحاطة السوار بالعصم .

« أبها » ، قاعدة عسير ، كانت مركزاً لحكم آل عائض وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها . وهى مقرّ إمارة السراة فى عهد حكومة الملك عبد العزيز آل سعود وهى فضلاً عن ذلك سوق عير الشهيرة التي تمقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى ساحة متوسطة بين مجموعة القرى التي تتألف منها المدينة .

كان اسم أبها فى القديم « مناظر » ، ومناظر الآن حلة من أحياء المدينة ، وقد تكون مناظر أصل البلدة القديمة ثم توسعت حدودها واستطالت رقعتها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها .

تتألف أبها فى وقتنا الحاضر من عدة قرى ممتدة على أطراف وادى أبها من أعلاه فى جهة الجنوب الغربى إلى مصبّه فى جهة الشمال الشرقى . وهذه أسماء القرى والأحياء اعتباراً من المنبع إلى المصب .

وقد أغفلنا قرية اسمها « العتران » لأنها لا تجسب من أبها بالذات :

( ١ ) المفتاحة ، فى علوّ الوادى إلى جهة الشرق منه .

( ٢ ) القرى .

(٣) نعمان .

(٤) الربوع ، وهي حلّة كانت فيها سوق أتقد يوم الأربعاء فسميت بها .

(٥) شذا ، وفيها القصر الذي بناه محمد بن عائض حينما نقل مركز حكمه من ريدة إلى أبها ، وليس فيها — في الواقع — سوى قصر ابن عائض وقصر الحكومة الذي بنى على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، ومركز اللاسلكي .

(٦) مناظر ، وهي أصل المدينة كما أسلفنا .

(٧) البديع .

(٨) الخشع .

(٩) النصب .

(١٠) مقابل ، وهي القرية الوحيدة القائمة على الجانب الغربي للوادي . وقد كان فيها مسكن متصرف عسير سليمان شفيق باشا ثم محي الدين باشا ، وكان يصلها بأبها جسر حديث قد تهدم الآن وهُجر .

كانت أبها مدينة زاهية زاهرة بسبب كونها مركزاً للحكم العثماني في السراة ومقرّاً للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بتكبات كثيرة ألحقت بها أفدح الضرر وأخرتها إلى الوراء سنين طويلة .

أما التكنبة الأولى فقد أصابها عام ١٩١٠ م — ١٣٢٨ هـ . حينما ثار السيد محمد علي الإدريسي حاكم تهامة على حكم الدولة العثمانية وأنفذ ابن عمه السيد مصطفى الغربي الإدريسي لحصارها ، فشدد عليها الحصار حوالي ثمانية أشهر ، إلى أن وصلت النجدة من الحجاز بقيادة الشريف حسين أمير مكة لذلك العهد ، فإنه وصل إليها في أواسط رجب ١٣٢٩ هـ

وكانت قوات الإدريسي محاصرة لها منذ ذى القعدة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . ومع أن الحصار دام طويلاً ، فقد اقتصر الأمر على الغلاء ، نتيجة فقد المواد الغذائية دون أن يلحق بالمدينة تدمير أو تخريب .

والنكبة الثانية أصابها أيام الحرب الكبرى حين ظل محيي الدين باشا متصرفاً  
لعسير بعد انتفاض الشريف حسين على الأتراك وانقطاع المواصلات بين عسير والبلاد  
العثمانية ، فعمل محيي الدين جهده لتخفيف ويلات الحرب والحصار المضروب عليه ،  
فعامل الناس بالحسنى وقرب القلوب إليه ، فانضوى جميع أهل عسير تحت لوائه ،  
وكانوا عدته في الشدائد والأهوال التي مرت به ، وقد أجرى لهم طائفة من  
الإصلاحات العمرانية وبنى في البلاد قلاعاً وأبراجاً كثيرة لتشغيل اليد العاملة ، غير  
أن نطاق الأعمال كان ضيقاً ، والغلاء كان فاحشاً .

والنكبة الثالثة وقعت عقب الحرب العامة وزوال الحكم العثماني من البلاد ،  
حين هاجمها الأمير عبد العزيز بن مساعد بجند من متعصبة الإخوان أيام كان الإخوان  
إبان اشتداد غلوائهم ، ففعلوا في أهل الأفاعيل ، وخرّبوا كثيراً من معالم العمران .  
حتى لقد هدموا الأسيلة التي يستقى منها الناس بحجة أنها قباب . وهدموا بعض  
البيوت بدعوى أنها بيوت أخصامهم وهم في حاجة إلى الحطب فاستعملوا خشبها  
وقوداً ، وكسروا آلات الخياطة لأنها من أعمال السحر ، وحطّموا المرايا الكبيرة  
لأنهم لم يعرفوها . وقد روى لي بعضهم في هذا الشأن قصة طريفة ، وذلك أن والد  
مترك بن شفلوط من كبار قحطان دخل بيتاً كبيراً فتخيل أمامه رجلاً يعترض طريقه ،  
فانتهره ، فأجابه ذلك بالمثل ، فرفع يده بسيفه ، فقابله بمثل حركته ، فما كان منه  
إلا أن أسرع الخطى نحو مبارزه ، وبادره بضربة تردد صداها في سائر البيت ، واجتمع  
الناس على صوت مرآة تتحطم من ضربة سيف ابن شفلوط الذي تخيل خياله المنعكس  
في المرآة عدواً مبارزاً .

والنكبة الرابعة والأخيرة وقعت عقب غزو الأمير فيصل نجل الملك عبد العزيز  
لأجل إنقاذ فهد العقيلي من الحصار . فقد ترك أهلها بعد أن أمر عليها رجلاً اسمه  
ابن عفيصان ، ثار عليه الحسن بن علي بن عائض ، وحاصره في قصر شذا مدة  
طويلة إلى أن وصلت النجدات من نجد وفككت الحصار عنه ، فما كان منه بعد فك  
الحصان إلا أن أدب المجرمين وهدم منازلهم ، وكذلك فعل بالثكنات والقلاع

والأبراج المحيطة بأبها . وكانت هذه النكبة ثالثة الأثافي التي أتت على كل آثار الحكم العثماني في البلاد .

وبعد هذه النكبات المتوالية بدأت أبها بالانتعاش مرة أخرى . وقد ساعد على إنعاشها استتباب الأمن واستقرار الحكم من حين اتخاذها قاعدة لجميع الأعمال العسكرية في تهامة واليمن . وكانت الجيوش تذهب وتجيء إليها وتترك فيها من النقود ما استعاد به أهلها ثراءهم و بعض ما فقدوه في الفتن السابقة . حتى إن تعداد أبها قد بلغ إبان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية حوالي خمسة عشر ألفاً عدا الجنود والموظفين ، ولكنه الآن لا يزيد على ثمانية آلاف .

قلنا إن أبها بليت بنسكبات كانت أولها في حصار الأدراسة لها عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م . وقد فطن الأتراك بعد ذلك إلى أن سبب ما أصاب سليمان شفيق كالي باشا اعتماده في الدفاع عنها على مواقع قريبة فيها ، بينما كان في الإمكان تحصينها تحصيناً قوياً يساعد عليه موقعها الطبيعي والجبال والهضاب المرتفعة المحيطة بها من كل جانب ، فشمروا بعدئذ عن ساعد الجد ، وبنوا حولها سلسلة من القلاع على رؤس الجبال وصلوا بينها بأبراج للمراقبة والحصار الأولى ، فأصبحت من أحصن المدن . وكان من نتيجة ذلك أن ثبت فيها الأتراك مدافعهم بل مهددين للإدريسى وللشريف طوال سنى الحرب .

والقلاع الرئيسية التي تحفظ أبها ثلاث :

( ١ ) قلعة ضائع : وهي حاكمة على وادى ضلع ومدينة أبها ، بحيث لا تستطيع

أية قوة أن تصعد من تهامة دون أن تتعرض لمدافع ورششات وبنادق المدافع في تلك القلعة .

( ٢ ) قلعة ذرة : وهو جبل مرتفع يكاد يكون منفرداً عما سواه ، ويرى من

أماكن بعيدة جداً . ( ذكر لي المهندس أنه رآه من السودة على بعد ٢٠ كيلومتراً ) ، وهو إلى الشمال الشرقي من قلعة ضائع . وقد بنيت فوقه قلعة كبيرة تحتها أبنية محفورة

في بطن الجبل . وقد استفادت الحكومة الحالية من هذه القلعة ، واتخذتها أول أمرها مركزاً للاستلصاق .

( ٣ ) قلعة شمسبان : إلى الشمال من أبها ، تحرس الطريق العام القادم من عقبة شعار ومن عقبة الصماء .

وتوجد بين القلاع سلسلة من الخافر القوية المقامة على رؤوس التلال لحراسة الطرق الموصلة إلى أبها وللدفاع عن القلاع أيضا . ويوجد بين ضلع وذرة جبل مرتفع اسمه « أبو خيال » بنى فوقه مخفر حصين لحراسة طريق القلعتين .

وقد وصل محي الدين باشا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة في أعلى الجبال وجماعها مزدوجة للذهاب والإياب ، وسيّر عليها المدافع والمركبات . وعلى الإجمال فإن أعظم عمل قامت به الحكومة العثمانية للدفاع عن أبها ، إنما قام به محي الدين باشا الذي يذكره كثيرون إلى الآن .

ويستقى أهل أبها من الآبار الحفورة في الوادي ، ماؤها عذب لذيد ، وهوؤها نقي عليل . غير أنى لاحظت ثقل الجو نوعا في أبها ، فإن الغريب يشعر بالتعب من أقل نشاط يبيديه فيها ، وإذا رقى درجاً أو هضبة صغيرة أدركه التعب الشديد الذي يمكن تسميته ( التفحيم ) أى ضيق النفس واللهمة واشتداد ضربات القلب . وأبها ، سوق عسير الدائمة ، وتعقد فيها سوق أسبوعية يجتمع فيها أهل القرى للبيع والشراء ، وأكثر من يفد إليها النساء وطالبوا الزواج . وسنذكر في الفصل التالي طرفا من عادات أهل أبها الاجتماعية .

#### ٤ - قرى « عسير »

يكاد يكون كل بطن من بطون عسير الأربعة مستقلا في قراه وبلاده عن البطون الأخرى ، الأمر الذي يدل على تفاوت أصولهم . ومن القرى مالها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزاً حكومياً في وقت من الأوقات . مثال ذلك « طبب »

التي كانت مركزاً لحكم ربيعة ورفيدة (أى بلاد أبو تقطعة) ، و « السُّقْمَا » التي كانت مركزاً لحكم آل يزيد ، و « ريدة » التي كانت مركزاً لحكم عائض بن مرعى ثم انتقل ابنه إلى أبها وبنى « شذا » فكانت مركزه ، غير أن رديف باشا ومختار باشا أسرا محمد بن عائض في ريدة . و « حرملة » هي بلدة آل عائض أيضاً وهي التي هدمها الأمير فيصل بعد استيلائه على أبها بسبب فرار صاحبها الأمير حسن بن علي بن محمد ابن عائض . من أجل ذلك ، رأيت أن أذكر فيما يلي قرى كل بطن من عسير على حدتها :

أولاً : قرى بنى مالك من عسير :

ا - قرى ربيعة :

- |                |                     |
|----------------|---------------------|
| ( ١ ) حجلة .   | ( ٤ ) آل جرجر .     |
| ( ٢ ) الغليض . | ( ٥ ) آل بالنعمان . |
| ( ٣ ) لعصان .  | ( ٦ ) عددان .       |

ب - قرى بنى منبه :

- |   |                 |
|---|-----------------|
| ( ١ ) العطف .   | ( ٣ ) المجزعة . |
| ( ٢ ) سبل ، وهي قرية لأمير بن مُعَدِّي شيخ بنى مالك . | ( ٤ ) الجنفور . |

ج - قرى آل يعلى :

- |                                   |                 |
|-----------------------------------|-----------------|
| ( ١ ) العين .                     | ( ٣ ) الجمعاة . |
| ( ٢ ) الحَمَّالة العليا والسفلى . | ( ٤ ) الاصبه .  |

د - قرى آل رميان :

- |                     |                 |
|---------------------|-----------------|
| ( ١ ) شوخط .        | ( ٣ ) آل سفور . |
| ( ٢ ) منادر العين . | ( ٤ ) القعوة .  |

هـ — قرى التلادة :

- (١) آل الشالفا .  
(٢) آل جاهل .  
(٣) مسلت .  
(٤) صعبان .

و — قرى بنى رزام :

- (١) سوق السبت .  
(٢) القرابات .  
(٣) الشعب .  
(٤) الجاردة .  
(٥) الملاحه .  
(٦) القية .

ز — قرى آل مجمل :

- (١) صرور . (٣) الأفلاج ، وهي آخر وادي الملاحه قبل التقائه بأتانة .  
(٢) حياذ . (٤) العطفات .

ح — قرى آل الحبشي :

- (١) الخارجه .  
(٢) العطفة .  
(٣) آل أبي شوحة .  
(٤) قرين .  
(٥) الفرسة .
- ويبلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١٥ ألف نسمة .

ثانياً : قرى بنى مغيد من عسير :

- بنو مغيد مختلطون لم يتمكن من تمييز قراهم بحسب فروع البطن :
- (١) هضبة بنى جري . (٦) آل أبا الفلاح . (١١) العزيزة وهي قريرتان  
(٢) آل منسم . (٧) جوحان . الحولة والسحيا .  
(٣) العمارات . (٨) قاعد . (١٢) النصب .  
(٤) الحصن الأسفل . (٩) العرين . (١٣) مدينة أبها وقد  
(٥) الحصن الأعلى . (١٠) مشيع . وردت تفاصيل قراها

- (١٤) المثربان . (٢٣) الهيلة . (٣١) آل القبيهي .  
(١٥) الملاية . (٢٤) القوزة . (٣٢) حرمللة .  
(١٦) السحرة . (٢٥) آل مفرّح . (٣٣) ريذة .  
(١٧) آل زبدي . (٢٦) آل سكران . (٣٤) الضفعمان .  
(١٨) آل عكاش . (٢٧) السقا وهي أربع قرى ، القرن ، (٣٥) ذا القيمي .  
(١٩) آل الحاج . والقهوة وآل تمام وآل فلاح (٣٦) ليشوي .  
(٢٠) آل العلاء . (٢٨) سمن آل ديمن . (٣٧) حَبُو .  
(٢١) آل الزنوة . (٢٩) اليزيدين . (٣٨) مسقام .  
(٢٢) الشبارقة . (٣٠) سمن آل يزيد . (٣٩) عَتْمَة .

ثالثاً : قرى ربيعة ورَفَيْدَة :

أ - قرى ربيعة :

- (١) المسقوى . (٧) زينة .  
(٢) مصاولي . (٨) الزهرة .  
(٣) تيهان . (٩) الرمدة .  
(٤) النجمة . (١٠) أم رهوة .  
(٥) الزهر . (١١) الدغل .  
(٦) الجور .

ب - قرى رَفَيْدَة :

- (١) آل سعلی . (٥) المسخية .  
(٢) آل محمود . (٦) العطف .  
(٣) شرمي . (٧) طيب .  
(٤) آل مجمل . (٨) الطالحة .

- (٩) الفال .  
(١٠) آل العدامى .  
(١١) آل مجاد .  
(١٢) آل القلقة .

ح - ولرييمة ورفيدة فى تهامة :

- (١) بعور .  
(٢) ناهية .  
(٣) العقبة .  
(٤) آل الذيب .  
(٥) آل الحنيش .  
(٦) آل السحر .  
(٧) آل جحيش .  
(٨) آل فضيلة .

رابعاً : قرى علكم من عسير :

- (١) وادى البيح .  
(٢) العين .  
(٣) آل طرفة .  
(٤) المعمر .  
(٥) العطف .  
(٦) غاوة .  
(٧) المصنعة .  
(٨) قرخة .  
(٩) النجاد .  
(١٠) القصير .  
(١١) الوادى الطالع .  
(١٢) أم شينة .  
(١٣) السودة .  
(١٤) السوق .  
(١٥) الحصان .  
(١٦) الذيبة .  
(١٧) الخض .  
(١٨) الباطنة .  
(١٩) اليمانية .  
(٢٠) آل يوسف .  
(٢١) عضاضة .

ولعلكم فى تهامة أربع قرى :

- (١) آل النجم .  
(٢) لولاه .  
(٣) خيمة .  
(٤) حسوة .

ويرى ممّا ذكر أن بنى مغيد أكثر قرى وأعظم عدداً ، ولهم « أبها » مركز المقاطعة ، ولذا فإن رئاسة كافة عسير منهم .

## الفصل الرابع

### العادات الاجتماعية في عسير

الزى - العلام - اللهجة - مراسم الزواج - الحرفات

#### ١ - الزى

أول ما يلفت نظر الباحث في الشؤون الاجتماعية لقطر من الأقطار ، أزياء الأهلين ، وطبائعهم من حيث الرقة والجفاء ، وما إلى ذلك . أما في عسير فن حيث أزياء الرجال فإنها لا تختلف كثيراً عن أزياء بلاد شمران التي وصفناها في القسم الأول . ومن حيث الطباع فإن أهل عسير رجلاً ونساء يختلفون عن شمران ببعض المميزات التي قد تكون أثراً من آثار البيئة والإقليم ، فهم أرق طباعاً وأقرب إلى الاختلاط الأجنبي من أهل شمران ، وربما كان هذا ناشئاً عن جو بلادهم وكونهم اختلطوا بالغرباء أكثر من سواهم ، ويظهر أن اتخاذ أيها قاعدة لإدارة عسير وشمران هو الذي جعل أهلها أقرب إلى اقتباس عادات غيرهم وأقل تعصباً وجفاء من سواهم .

هذا ويمكن تقسيم عسير من حيث العادات الاجتماعية إلى قسمين : الأول ، أهل عسير الذين يقطنون الربي وسفوح الجبال الشرقية حتى بلاد شمران وقحطان . والثاني ، أهل عسير الذين يقطنون الربي والسفوح الغربية أي في منقلب الجبال إلى جهة تهامة ، حتى إن الأهالي أنفسهم يسمون سكان هذا القسم « أهل تهامة » تمييزاً لهم عن الآخرين . فالقسم الأول أقرب إلى شمران وقحطان في عاداته منه إلى أهل عسير المقيمين في تهامة ، يظهر ذلك في زيهم ولهجتهم وأحاديثهم بل في طبائعهم .

والعسيري التهامي أقرب إلى رجال ألمع منه إلى بني قومه ، لباسه سهل بسيط لا يشبه لباس ربيعة اليمن ولا لباس أهل أبيها بل هو وسط بينهما . والنساء يلبسن فوق أثوابهن رداء كالقرو مصنوعاً من الجلود المدبوغة تربط أطرافه العليا حول العنق وتدل بقية على الظهر إلى ما فوق الكاهل . وهذا الرداء على نوعين :

الأول : « الْمَزَّرَ » أو « المزار » ، وهو عبارة عن مجموعة من جلود الحملان تدبغ ويحرز بعضها ببعض بسبب ذى لون يختلف عن لون الجلد ، ويحيط بهذه المجموعة (كنار) من لون السبب ، وغالباً ما يكون أحمر . وطريقة لبسه أن يكون مقلوباً ، فالشعر من الباطن والجلد من الظاهر ، ليكون الجلد وقاء من المطر لا يخرقه الماء كالشمع ، وليسكون الشعر وجاء من البرد في الشتاء

والثاني : « النطع » أو « المقصر » وهو عبارة عن ثلث المجموعة الأولى من الجلود المدبوغة اللينة الكثة الشعر ، وهو أقل عرضاً من الأول لا يستر إلا بعض الظهر .

أما غطاء الرأس فإن نساء تهامة يستعملن (الطَفَشَةَ) وهي قبعة من الخوص عريضة (الكنار) غير بارزة الوسط . وأما نساء الجبال فإنهن يستعملن الخمار يضعنه على رؤوسهن ، وتلبس الأبقار نوعاً من القبعات المصنوعة من القماش على شكل مثلث مفتوح القاعدة كي تدخل في الرأس وتستقر عليه ، وقد يوضع خمار أو نقاب فوق هذه القبعة .

وقد جمعت معلومات وافية عن الملابس وأدوات الزينة التي يستعملها الرجال والنساء أذكر بعضها فيما يلي :

١ - (النسمة) ، وهي حبل من الجلد المجدول كالضفيرة ، تستعملها النساء كالحزام ، تنتهي عند أحد طرفيها كتلة من أطراف شرائح الجلد بينها ملة قط صغير لالتقاط الشوك ومنكاش ومرود ، وهي أعم بين البادية .

٢ — (السبتة) ، وهى حزام من الجلد المنقوش المخروز ، تتشقق بها النساء فوق أثوابهن ، وهى كالنسعة إلا أنها أقصر وأسمك ، وهى أعم بين الحاضرة .  
٣ — (المسكة) ، وهى قطعة من الجلد مصنوعة على شكل إكليل تضعه النساء على رؤوسهن لمسك الشعر أو لتثبيت الخمار فوق الرأس .

٤ — (إكليل) محبوبك من الخلف والأعشاب البرية العطرية مثل الشيح والبُرْك والريحان والوزاب ، وظيفته إمساك الشعر عن أن تلعب به الريح . وللرجال إكليل خاص يختلف عن إكليل النساء فى الشكل ، يستعمله — على الأخص — رجال تهامة الذين يطلقون شعورهم كالنساء ولا يلبسون فوق الرأس شيئاً سواه .

٥ — (الشملة) ، وهى عباءة من صوف الغنم قصيرة جداً ، تطرح على الكتفين ، ولكنها صلبة لاتهدل عليهما ، وهى لباس الأغنياء والأعيان ، تقوم أيام الشتاء مقام (المقمر) والنطع عند البادية .

### ٢ — الطعام

البرّ والسمن ، هما الطعام الوطنى الرئيسى فى عسير وقحطان وشهران ، فلا يعلو عليهما طعام . أليس البرّ من أهم منتجات عسير الزراعية ؟ أليس السمن من نتاج أغنام عسير وأبقارها ؟ البرّ والسمن : تاج المحصولات وعماد الطعام وقوام المعيشة . أمّا ما عدا ذلك فنانونى أو كالى . فاللحم مقامه فى الأعياد والمواسم والضيافات القليلة المحدودة ، والفاكهة والخضر وجودها مثل عدمها ، والحمد لله على كل حال . وطريقة صنع الطعام بدائية هيّنة ليّنة لا دخل فيها لفنّ الطهو . اللحم مسلوق وكفى ، والبرّ للخبز والعريكة ، والسمن يسقى به الاثنان .

وصفنا فيما مضى طعام العريكة وهو أعم الأطعمة وأعظمها شأنًا . يعصد الدقيق فوق النار بالماء الساخن حتى ينضج ، ثمّ يصبّ فى قصعة أو جفنة مشنجرة أو غير مشنجرة ، والحفرة فى وسطها تستوعب كمية من السمن السائح . وإليكم أيها الضيوف

ما عندنا من الطعام الحلال . كلوا هنيئاً ، واشربوا الماء القراح أو اللبن الحامض مخيضاً أو رائباً .

أرسلنا في مشترى الحليب فقيل لنا : « عار أن يبيع الأهالي الحليب » عار وأى عار ! إذن لابد من غنيمات أو أبقار نستدر لبنها . يحيا عصر الرعاة ، وتحيا الصراحة والحرية .

ويصنع من دقيق القمح عدا العريكة نوع من الخبز السمج يشوى على النار في الطابون أو في إناء ، ثم يصب عليه السمن والصل . وهذا القرص من أشهى المآكل وألذها .

أما اللحم فهاكه سليقاً ناضجاً متطعماً إرباً إرباً متناسبة بقدر الأقة أو دونها ، وهالك المرق في قصعة ، وهالك قطع اللحم منشورة على مائدة تبسط على الأرض من جلود الفم الجففة بالشمس . قصعة المرق تتوسط الدائرة ، تحيط بها أرغفة الخبز الساخن ، تتخللها قطع اللحم ، وقد تحتل قصعة العريكة مكان قصعة المرق ، وهي سيدة الطعام ، كلوا واشربوا هنيئاً سريعاً . أما قطع اللحم الممتازة كالسكتف والفثيلة وسواها من أطايب اللحم فإن المضيف يوزعها بنفسه على الضيوف بادئاً بالأول قائلاً : « الزم » فيتناولها الضيف قائلاً : « تسلم » إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين ، وإن بقي شيء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل : هاكم الرأس وهاكم الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المطط . لكلٍ قسم بحسب مقامه في الهيئة الاجتماعية . . الطيبات للطيبين ، والكبيرة للكبير .

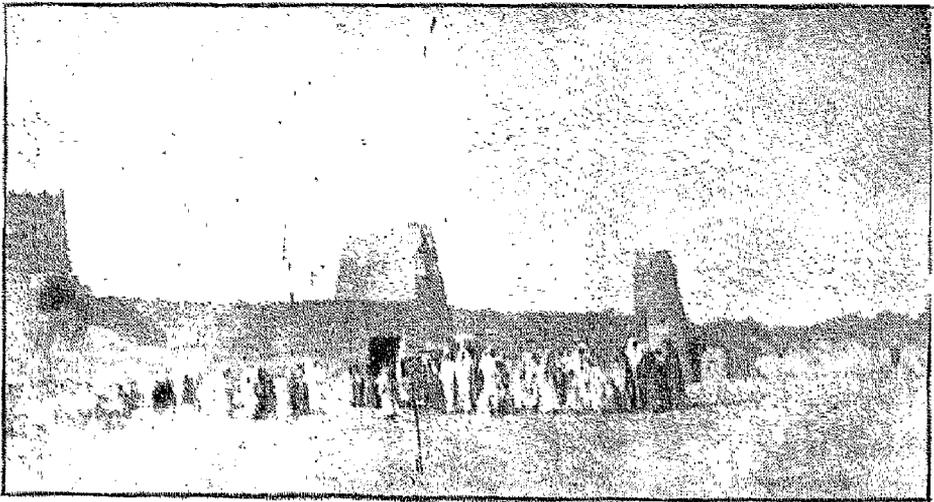
ومن المناظر المألوفة أن يأتي المضيف إلى جفنة العريكة ، فيقتطع منها قطعة يكورها بين أصابعه كقمة كبيرة لا يزدردنها إلا الجائع النهيم ، ويصنع منها إناء يشبه الملعقة أو بالأحرى أذن الذئب ، يعترف بها من السمن ويقدمها للضيف . وإذا كان الضيف عزيزاً لا يكتفى المضيف بلقمة واحدة — وطوبى لمن يطبق ازرداد هذه الكتلة الهائلة من العريكة والسمن . لكنهما هي العادات وهو الإكرام وهو حسن الضيافة .



أحدث القصبات في بلدة حجلة في عسير . وهي عامة في عسير ونجران



نساء بدويات في سوق « أبها » وهن لابسات قبعات عريضة



قصر شذا في « أبها »

٣ - اللهجة

أم التعريف : حضرت أول سوق أسبوعية عقدت في أمها عقب وصولي إليها ،  
وتحوّلت في أرجائها مستعرضا من فيها ، سائلا منقبا عن أحوالهم ، فما كان أشدّ  
عجبي حينما سألت أحدهم عن المكان الذي جاء منه فأجابني : من « أمسقي » ،  
قلت : « ومن أنت » ؟ فأجاب : « محمد امناصر » وحينما تكرر الأحاديث  
بينى وبين كثيرين من أهل عسير أدركت أنهم يعرفون الأسماء بـ « أم » بدل  
« ال » . والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد في الحديث ( ليس من امير  
مصيام في امسفر ) أى ( ليس من البر الصيام في السفر ) . وشرعت أستقى  
المعلومات عن الجهات التي تعرف بأم ، فعلمت أن التعريف بها قاعدة عامة عند الكثيرين  
منهم . وتبادر إلى ذهني ما كنت أسمعه عن قبيلة مهمة بجوار حيزان اسمها قبيلة  
« الحمد » ، فإذا بها قبيلة « الحمد » عرف اسمها بأم . وحضرت عرضة قام بها أفراد  
قبيلة رجال ألمع المرسلين إلى ساحة الحرب مستبدلين برفاق لهم ، فسمعتهم ينشدون :  
عاموا قحطان مع جمع امشارق<sup>(١)</sup> يحفظون امحد<sup>(٢)</sup> لا حيا بفارق  
حتى يجون امهي<sup>(٣)</sup>  
يا عسير امهول ما هذى امقضية<sup>(٤)</sup> ودنا نجران نهب له سريه  
علموا ولد امام<sup>(٥)</sup> لا بد من صنعا ونحرق قصوره

قلب النون راء : طلبت من أمير عسير أن يرسل إلى منزلي بعض كبارهم  
للسؤال عن أحوالهم ، فجاءني الشيخ زائد ، وأدلى إليّ بمعلومات نفيسة عن حالة قبيلته  
وقراها وأوديتها وأودية تهامة إجمالا . وقد عجبت من اصطلاح ذكره أمامى ، فسألته  
عنه ، فأوضح لي غامضه . كان يملى علىّ القرى والشعبان التي تصب في وادى حليّ ،  
فإذا به يذكر أمامى أن الوادى ينتهى في حليّ « بر يعقوب » فاستغربت التركيب ،  
ولما سألته عن بعض مشاهير القبيلة كان يذكر اسم الشخص ثم يردفه بكلمة « بر »

( ١ - ٥ ) أل بدل أم .

ثم يذكر اسم الوالد ، فتبادر إلى ذهني أن أسأله عن اسم والدته ، فسمعت عجبا ، قال حفظه الله : « أنا زايد برغراره وأمي فاطمة ابنة محمد »

قلب الجيم ياء : ورجال ألمع وأهل عسير يقلمون أحيانا الجيم ياء ، فيقول أحدهم :

« صليت في المسجد » يعني في المسجد ، و « رأيت الريال » أي الرجال . لقد ذكرتني لهجة أهل عسير في قلب الأحرف بواقعة جرت لي ولدهض الرفاق في قرية « شقرا » من قرى بنى سفيان بجوار الطائف حيث ذهبنا للزينة ، فسألنا أحد أهلها عن الوقت وكان قريب الظهر ، فقال : « فات الظهر » ، قاب الظاء لاما ، وكان مخاطبنا يقاب الظاء والضاد لاما في جميع الكلمات التي وردت على لسانه في حديثنا معه .

الكشكشة أو البشبة : لاحظت في أهل النهم ظاهرة أخرى هي الكشكشة أو البشبة . وقد لقيت صعوبة جمّة في فهم كثير من أحاديثهم بسبب ذلك . وهي لهجة موجودة لا سيما بين النساء ، وقد حاولت كثيراً أن أفهم حديثهن فلم أفجح . ولهن في الحديث لهجة خاصة يستعمن فيها الألفاظ الغريبة بسرعة فائقة . وكثير من الأسماء والأفعال غريب على سماعي . وطريقة التناظ به أغرب .

ثمّ بمعنى هنالك : ومن أطف اصطلاحاتهم وأخفها على السمع كلمة « ثمّ » بمعنى هنالك ، إذ يتلفّظون بها على البديهة دون أي تكلف ، يخاطبك بها الرجل والمرأة والعلام على السواء : « سرنا من امسقى و ثمّ أو من ثمّ يطلع أموادي » ( سرنا من الشقى ومن هنالك يطلع الوادي ) .

الجل المعترضة : لا أودّ إتعاب القارئ بما دوّنته من الاصطلاحات المركبة فأكتفي ببعضها . يغلب على أهل هذه البلاد إدخال جملة معترضة أثناء الحديث بقصد الدعاء والثناء والمدح على غرار :

إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعي إلى ترجمان  
 يكون مخاطبك مسترسلا في الحديث وإذا به يزح بالجملة المعترضة : « إيه ونا فذاك »  
 « إيه واللى يسلمك » . وقد تبلغ به المحبة أن يقول لك لزيادة التأكيد : « ربّي يأخذني قبلك » ، أو « ربّي يديمك ويبقيك » وكثيراً غير هذا .

ولا شك في أن دراسة اللهجات العامية في سائر البلاد العربية من المسائل الهامة جداً ، ولكنني واثق من أن دراسة اللهجات المحلية في عسير وتهامة وأطراف اليمن من أكثر الدراسات نفعا لمعرفة الفوارق والعوامل في لغتنا العربية . وإنى لأرجو أن يوفق الله إلى إتمام مثل هذا البحث .

#### ٤ - مراسم الزواج

يوشك السفور أن يكون عاما في القرى وبين البادية في جميع أنحاء عسير وشهران وقحطان ، والاختلاط بين الجنسين عامّ خلا نساء الأمراء والأعيان فإنهن لا يمتزجن إلا بأقاربهن الأدينين ، ولا شك في أن الاختلاط بالغرباء يسبّب مشاكل شتى ، ولذلك فإن الحكومة الحاضرة عملت جهدها للقضاء على هذه العادة دفعا لمضارها واتقاء لمفاسدها ، غير أن ما عمل في هذا الباب لا يزال دون الغاية المطلوبة . عجبت بادي الأمر من هذا الاختلاط ومن رفع الكلمة بين الجنسين ، ولكنني أدركت أنّ نساء هذه البلاد قد اعتدن عدم الاحتراز من مخالطة الغرباء بفضل الزمن والعادات المتوارثة ، ولا يرين في ذلك بأسا ، متمثلات بقول الشاعر :

بيض حرائر ما هممن بريية ويصدن عن الحنا الإسلام

أعتقد أن هذه البلاد قد منيت بقحط في الرجال ، وكان من جراء ذلك أن رخص الزواج ، وجرى فيه تساهل عظيم مع الغرباء عن القبيلة ومع غير الكفء . وقد لاحظت أنواعا من الزواج كانت المساومة فيه أساسا له وكان المال سبباً لإتمامه ولم يستنكف أهل هذه البلاد عن تزويج بناتهم من الجنود برغم علمهم بقصر مدة إقامتهم بين ظهرانيهم . وهذا التساهل في اختيار الأزواج أو بالأحرى في بيع النساء للرجال بشمن بخس دراهم معدودة قد لفت نظري إلى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التي أرجو أن يكون الباعث عليها الحرب وضرورتها ، وأن تكون الأسباب التي أوجدتها قد زالت الآن .

كنت أعجب أول وصولي إلى عسير من كثرة الأحاديث عن الزواج الذي لا يخلو منه مجلس ، ولكن عجبني أخذ في التضاؤل بمرور الزمن حتى أصبحت لا أرى

غضاضة في طرق الموضوع في أية مناسبة . وزعم بعض محدثي أن الزواج بين أفراد القبيلة لاسيما بين أبناء العم رخيص جداً ، فالمهر لا يتجاوز غالباً خمسة عشر ريالاً فرنسياً ( ١٢٠ قرشاً مصرياً ) ، غير أن الذي يدفع منه بالفعل خمسة ريالات فقط ، إذ العادة في هذه المهور أن تجعل ثلاثة أقسام ، الثلث الأول يدفع نقداً والثالث الثاني ينزل عنه ولى أسر العروس مقابل الضيافة التي يقدمها للعريس ، والثلث الباقي هدية .

أما في وقت وجودنا بأبها فقد أخبرونا بأن سوق المهور قد ارتفعت جداً بالنسبة للأغراب الراغبين في الزواج . وقد حدث أن بعض كبار الجنود قد أبلغ المهر إلى ٥٠٠ ريال نقداً ، وهذا أمر لم تعهده نساء تلك البلاد ، فكان الإقبال على الزواج عظيماً من الجانبين .

واختيار العروس - لاسيما القرويات والبدويات - يقع في أحد مكانين : السوق أو البئر ، وما على الراغب في الزواج إلا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق ، ويشرع في ذرعه ذهاباً وحببياً ، إلى أن يقع نظره على فتاة تعجبه ، فيتقدم إليها خاطباً بالأمه المعروفة : « أنا ميدك » و « أنا ميد » و « أنا ليس ميد » . ويستدل على ولى الفتاة وتم الخطبة في نهار واحد ، وهاك المهر ، وهاك الضيفة وهاك الشرهة ، وهاك الأستاذ مأذون الزواج : بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحة من حلل النكاح وسرم السفاح ، مبارك يا عريس .

وقد بلغ التنافس على العرائس أشده أيام كنا في أبها ، فعوضاً عن استعراض الفتيات في السوق بدأ الراغبون في الزواج في تصيدهن من بعيد في طريقتهن إلى السوق قبل وصولهن إليه ، حتى لا يراهنهم مزاحم أو ينافسهم منافس . الزواج سهل ، والطلاق ميسور ، إما وفاق وإما فراق ، وكان الله يحب المحسنين .

أما البئر فإنها جامعة فتيات الحى أو القرية ، يقصدنها حاملات القرب على ظهورهن ، إذ أن السقاية وحمل الحطب والسكلاً من مهمات النساء الماهرات في الحمل على الظهور ، والسقاية من البئر بالتسلسل ، وقد تطول عملية رفع الماء بالدلاء ، وهذه فرصة حسنة للحديث فيما بينهم أو مع الشبان الراغبين في الزواج . يحصل التعارف

والاتفاق الضمى على البئر ، ثم يعقب ذلك إجراءات الخطبة الرسمية فى البيت وفى  
بلى طرف مما شاهدته من هذه الإجراءات والمعادات :

حضرت حفلتين من حفلات عقد الزواج كان العريس فى كليهما من أصدقائى  
وكانت المراسم فىهما واحدة تقريباً مع بعض الاختلاف فى الفروع والمواشى  
لا فى الأسس والقواعد . ركبنا من أبها فى سيارتين إلى قرية مجاورة واقعة فى جهتها  
الشمالية اسمها «رضف» حيث العروس وأهلها ، ولما اقتربنا من بيوت القرية أخذنا  
يطلقون الرصاص من البنادق والمسدسات ، وكان المنتظر أن يقابلنا أهل القرية بالمثل  
غير أنهم نجلوا بالخرطوش فلم يطلقوا طلقة واحدة ، وإنما قابلونا صفًا طويلًا محيين  
مرحين ، ثم دعونا إلى بيت تناولنا فيه القهوة . وكان علينا أن ننتظر نتيجة المساومة  
على توزيع مهر العروس بين والدتها وأخيها وعمها الذى هو وليها . كان المهر مائة ريال  
قدماً لم يتمكن الوسيط من توزيعه على وجه يرضى الجميع إلا بعد مناقشات ومحاورات  
كثيرة . وقدم العريس علاوة على النقد هدية من السكر والشاى والقهوة والهيل  
كما قدم الجهاز المؤلف من ثلاثة أثواب كاملة أحدها من الحرير ، ولم يكن فى الجهاز  
مصاغ قط . وبعد إتمام هذه الإجراءات دعى المأذون بإجراء العقد ، فقرأ ما تيسر  
من كلام الله ، ثم أجرى العقد بين ولي أمر العروس وبين العريس شفهيًا دون أن  
يكتب صك بذلك كما هو متبع فى أكثر البلاد ، وبذلك انتهت المراسم وتم عقد  
الزواج . ثم دعينا إلى تناول طعام الضيافة ، وكان يتألف من كبش مسلوق وأرز  
مغفل — وهذا من النوادر — ومرق وعريكة وخبز ، وباركنا العروسين وتمنينا  
لها السعادة والهناء .

أما مراسم الحفلة الثانية فلم تختلف عن الأولى إلا بتبادل إطلاق الرصاص  
من الجانبين ، وبدوم مشاهدتنا مساومات المهر وتوزيعه ، كما أننا نشاهد توزيع  
قطع اللحم كما جرى فى الحفلة الأولى .

أبناء عم العروس أولى بها من الغرباء ، ولهم عليها حق الأفضلية ، ولذا يجب  
التثبت من عدم معارضتهم فى الزواج أو إرضائهم للتخلى عنه قبل إتمامه .

زيروى البسطاء من أهل البلاد حكايات طريفة عن الخرافات المتسلطة على أذهانهم ، إذ يمتقدون بمقدرة أهل العروس على الحيولة دون وصول العريس إلى عروسه . وطريقة ذلك أن يعقدوا للعريس عقدة تعجزه عن بلوغ مراده من زوجته ، ولهم في ذلك طرق عديدة يتوسلون بها ويؤمنون بفائدتها للوصول إلى النتيجة المطلوبة على زعمهم . وفيما يلي بعض الوسائل التي يتوسل بها أهل العروس وأبناء عمومتهما للحيولة بين العريس وعروسه إن لم يكونوا راضين عن الزواج ، وذلك حين إجراء المأذون لمراسم العقد .

- ١ — عقد خيط أو شريط أو طرف الغترة أو الثوب .
  - ٢ — خلع الخاتم من الإصبع ثم إعادة لبسه رويدا رويدا كلما قرأ المأذون . جملة أو آية .
  - ٣ — سلّ الجنبية من عندها ثم إعادة لها إليه أثناء قيام المأذون بعمله دون أن يلاحظ أحد ذلك .
  - ٤ — قلب النعال حين إجراء العقد .
  - ٥ — عقد بعض شعرات من صوف ذبيحة العروس حين إجراء العقد .
  - ٦ — عقد مصران الذبيحة .
  - ٧ — غمس مسمار في دم الذبيحة ودقّه في الأرض .
  - ٨ — خلط سرق الذبيحة بماء حين إجراء العقد .
- هذه أشهر الطرق . وهناك طرق أخرى غيرها . ومما يوجب الأسف أن هذه الخرافات تجرى من القوم مجرى الدم ، ولها في نفوسهم أثر عظيم ، ولذلك فإن أهل العريس يكونون يقظين منتبهين حين إجراء العقد ، لئلا يحدث شيء من ذلك . ومما يجدر بي تسجيله هنا — على سبيل الفكاهة — واقعة حدثت لرفيقنا الذي كان دائما مصدر السلى والفكاهة : « كنعان أفندى » . كنا نمازح كنعان ونرغبه في الزواج ونشجعه عليه ، ومن المعلوم أنه أعزب . وكنا كلما خرج بمفرده من المنزل نسأله بعد عودته عما إذا كان قد وفق إلى العثور على فتاة موافقة ، وتهدنا بمساعدته بالمهر

وحفلة العرس ، فطالب منّا تدبير المساعدة المالية من الأمير سمود أولاً ، فإن دبرت فإنه لا يمتنع في الزواج . وقد كلفّ فعلاً أحد أصدقائه بالبحث عن فتاة مناسبة ، ووفق الصديق في مهمته وأرشدته إلى فتاة في السادسة عشرة من العمر ، غير أنّ كنعان كان قد تسلّم المساعدة المالية فاعتبرها فتاة أحلامه وعدل عن الزواج وأخبر صديقه بالعدل عن الخطبة !

ومن غريب المصادفات أن الأمير تركي السديري أمير عدير كان معي في المنزل وقت الغذاء ، وخرج إلى دار الحكومة ، وما عمّ أن أرسل إلى رسالة يخبرني فيها بأن حديث كنعان معنا عن عدم زواجه خرافة ، وأنه لعب علينا بزواجه خفية عنا . ونظراً لمعرفة الوثيقة بأن كنعان لم يتزوج ، لم أصدق الخبر بالطبع ، غير أنّي اغتنمتها فرصة للتفكّهة بممازحة كنعان وتشويش أفسكاره والتهويل في أمره .

أخبرت كنعان بأن أهل البنت قد شكوا للأمير نكته وعدوله عن الزواج دون أن يسلمّ الهر ، وأنّ الأمير لم يشأ اتخاذ الإجراءات ضده قبل مشاورتي والاتفاق معي على حلّ الموضوع صلحاً ، وعايه دفع المائة ريال قيمة الهر وإلا اضطر الأمير إلى النظر في الشكوى بصورة قانونية .

حينما أعود بنا كرتي إلى منظر كنعان ساعة إخباره بذلك الخبر ، تستفزني عوامل الضحك والاعتباط من موقف كنعان الحرج واعتباطه وقلقه . يالها من ساعة عصبية وكارثة مؤلمة ألمّت به . لم نترك وسيلة من وسائل الاستفزاز والتهويل والمشاكسة إلاّ اتخذناها ، فازداد الكرب به ، وضاق به الحيل ، فتركنا غاضباً من إهمالنا له وعدم مبالأتنا به في ساعة شدّته ، وذهب إلى السوق متفرّجاً عسى أن يطرح همومه وينسى آلامه ، غير أنّه عاد إلينا بعد ساعة تبدو عليه الآلام النفسية من هذه الورطة ، ولم يطق صبراً بين الرفاق ، فأخذ بندقيتي واعتزم الخروج للصيد على حدّ قوله ، فحتمنا أن يؤدي به الأمر إلى الانتحار ، فأطلعناه على الحقيقة بين قهقهة الرفاق وتصفيقهم الحاد للمريس الخيالي الجبار !

## ٥ — الخرافات

تنتشر في هذه البلاد عقائد خرافية تجرى من نفوس أهلها مجرى الدم ، ولها أثر شديد في تكليف أمتهم ، فأكثرهم يعتقد بالسحر والتنجيم وكتابة الحجب والطلاسم ، الأمر الذي يجد المشعوذون معه سوقا رائحة لشعوذاتهم وأباطيلهم ، ويتوسلون بذلك لسلب البسطاء أموالهم أو لسلب أموال النساء الجاهلات . نعم إن نشر قواعد التوحيد منذ تأسيس الحكومة الحاضرة قضى على كثير من هذه الخرافات والأوهام الباطلة ، غير أنه لم يقض عليها قضاء مبرما .

لا شك في أن اعتقاد البسطاء في قدرة بعضهم على منع العريس من مساس عروسه بواسطة عقد العقد ضرب من الأوهام والخرافات .

وتخريف أيضا اعتقادهم السائد في قبر « ذى القرنين » الواقع على ملتقى وادي جوحان وأبها ، وهو القبر الذي هدمه الإخوان أيام الفتح الأولى .

وكذلك من الخرافات الاعتقاد السائد بينهم بشأن الكهف المجاور لجبل « تمنية » ، يزعمون أن فيه ثلاث جثث كبيرة لأناس ماتوا منذ قرون غير أن أجسادهم تجمّدت وظلت على حالها ، وأن كل من رأى هذه الجثث أصيب بشيء لا يستطيعون أن يقرّوه أخير هو أم شر .

ولكن أعجب ما روى لي من عقائدهم الخرافية اعتقادهم بما يفعله أهل داخل اليمن من استنطاق الموتى الذين يقتلون غيلة ، وزعمهم بأن في إمكانهم معرفة القاتل وتطبيق الجزاء عليه بهذه الطريقة . وحبذا لو كانت هذه الخرافة حقيقة ، إذن لتمكن قضاة التحقيق من كشف أسرار الجرائم والضرب على أيدي الجناة والمجرمين ، ولكنها خرافة لها أثرها العظيم في أوهام الناس .

إذا اغتيل إنسان وأريد معرفة قاتله ، قام أهل القتل بمعونة بعض السحرة والكهان إلى سلم فر بطوا القتل إليه عرضا ، وحلوه إلى مكان بعيد بين الجبال حيث لا يسمع نباح الكلاب ولا الأصوات المزعجة ، وعلّقوا السلم على شجرة ،

ثم عمدوا إلى حفرة في الأرض تتسع لجلوس شخص واحد فوضوه فوقها صخرة كبيرة بحيث تغطيها إلا فتحة صغيرة مواجهة لوجه القتيل الملقى على السلم المربوط إلى الشجرة . وينصرف رفاق الخنبيء في الحفرة إلى مكان منعزل لا يشاهدون منه . فإذا جن الليل أنصت الخنبيء في الحفرة وحدث في وجه القتيل منتظراً وقوع الأحموبة ، وإذا بطير كبير يشبه النسر ينحط من السماء على عالى الشجرة مقابل الميت ، ثم تبدأ عملية الاستجواب والاستنطاق .

يتكلم النسر مشيراً إلى الميت طالباً منه أن يخبره باسمه واسم عائلته ، وربما سأله عن عمره برغم أن هؤلاء البسطاء لا يؤرخون أعمارهم ولا توجد في ديارهم مصالح إحصاء ولا دوائر تسجيل النفوس — فيفتح القتيل فاه ويحجب عن أسئلة النسر واحداً واحداً ، ويطلعه على اسم القاتل ومكان القتل وكيفية وغير ذلك من التفاصيل .

وقد يكون النسر محبباً للاطلاع رغباً في كشف أسرار الموتى وأفعالهم في الحياة الدنيا ، فيتأدى في السؤال والميت يجيبه على أسئلته حتى يتطرق إلى الخصوصيات المحضة ، فيصيح الخنبيء في الحفرة بالنسر أن كفى ولا لزوم لكشف أسرار الموتى ، فيغضب النسر من هذا الطغيلى ويشور عليه ، وينقض على الحفرة للانتقام منه وتمزيقه بمخالبه القوية ومنقاره الحدد ، فيصيح الرجل الخنبيء مستغيثاً ، ويقبل عليه رفاقه لإنقاذه ، فيضعف النسر أمام الكثرة التي تغلب الشجاعة ، فيفر لساعته ، ويسارع الرجال إلى رفع الصخرة عن فوهة الحفرة لإنقاذ رفيقهم ، وينظرون فإذا الميت على حاله لا يتكلم ولا يتحرك .

بهذه الوسيلة يكشف أهل اليمن أسرار الموتى وطريقة اغتيالهم للانتقام من القاتل . إلا أن المثل السائر يقول : « لسكل شيء آفة من جنسه » و « لسكل داء دواء » . فالقاتل الذى يعلم أن تلك الوسيلة قد نفشى سره ، لا يستبعد أن يهدد إلى قطع لسان القتيل وشفتيه ، فيصيح عاجزاً عن النطق حينما يستجوبه النسر ، ويقضى بذلك على آمال أهل القتيل في الوقوف على السر .

## الفصل الخامس

### بلاد وادعة وقحطان

وادعة ظهران ، قراها وأوديتها -- نسب قحطان وأقسامها -- قرى قحطان -- وادى تثليث

#### ١ - وادعة ظهران ، قراها وأوديتها

كنت أعتقد قبل رحلتي إلى عسير أن قبيلة وادعة تؤلف قسماً من أقسام قبيلة قحطان ، وهذه العقيدة هي التي جعلتني أذكر وادعة ضمن أقسام قحطان في كتابي « قلب جزيرة العرب »<sup>(١)</sup> . وحينما تقابلت مع كبار وادعة في خميس مشيط علمت منهم أنهم من نسل همدان بن زيد ، وأن أقاربهم وأبناء عمومتهم ، هم اليامية أهل نجران وحبونة وذوو محمد وذوو حسين وذوهم ، حالة كون قحطان ينسبون إلى عامر بن الحلف بن قضاة ، وهم أقرب إلى خوّلان بن عامر ( بنو جماعة ومنبه وكثيرون من غيرهم ) منهم إلى وادعة

تقع بلاد ظهران في منتهى حدود المملكة العربية السعودية المتاخمة لليمن ، وتبعد عن خميس مشيط بطريق السيارات ٣٣٦ كيلومتراً ، وهي بلاد جبلية ذات أودية كثيرة خصبة ، يحدّها من الجنوب بلاد سحار الشام والفاصل بينهما « رأس عاتين » يقابله في حدود اليمن « عقبة الشُّطبة » التي كانت مدخل الجند إلى اليمن بقيادة ولي العهد ، ويحدّها عن بلاد بني جماعة « تَبَاد » و « الصخيرة » وهما بجوار « وادى الحاجر » ويحدّها من جهة الغرب أى من جهة تهامة جبل « آل مخطي » و « المُسَيّ » . وأما من جهة الشرق فإن بلاد « يام » متصلة بها ، وأقرب القرى إليها بلدة « بدر » مركز المكارمة ، وبين بدر وظهران مسافة ست ساعات يقع في منتصفها ربع يسمى « رَهْوَة الْمُقَصَم » .

إن سكنى قبيلة صغيرة كوادعة في منهل عن أبناء عمها من همدان بن زيد، أمر لا يمكن تفسيره بالوقائع التاريخية الثابتة، وليس لذلك مثيل إلا وجود قرية يباد التابعة لسحار بين ظهران وبلاد بنى جماعة من خولان، ومع ذلك فقد استقرت هذه القبيلة واستقرت به وخالطت قحطان بن عامر واختلطت أنسابهما، مما دعا كثيرين إلى الفن بأنهما قبيلة واحدة.

وتقسم القبيلة إلى قسمين: «آل حَيَّان» و«وادعة»، ولكن الأهالي يقسمون القبيلة بحسب القرى التي يقطنونها، وهذه أسماء قرى القبيلة وأوديتها

١ — وادي الحاجر: ينبع بالقرب من وادي النشور في بلاد سحار باليمن ويتجه إلى الشرق حيث يصب في وادي هداد الذي يصب بدوره في وادي حبونة

٢ — وادي قتام: ينبع ما بين عليين والشطبة، وهي الحد الفاصل بين اليمن والمملكة العربية السعودية، ثم يصب في وادي الحاجر، ويجتمعان في «الجزعة» ثم في هداد.

وفي هذا الوادي خمس قرى هي اعتباراً من علوه إلى مصبه:

(١) الخنكة	(٣) الوساطة	(٥) الجزعة
(٢) الصدة	(٤) الشحق	

٣ — وادي العرين: يبدأ في «عراعر» التي توالي تهامة من جهة الغرب، ويصب في الجزعة، وفيه من القرى ما يأتي:

(١) عراعر	(٤) بلدة ظهران
(٢) آل عبيد الله	(٥) آل المونس
(٣) الحصن	(٦) التبيضة

وجميع الأودية المذكورة تصب في القرن والخلق في أعلى وادي حبونة

٤ — وادي القيل : يبدأ من قرية الأرنب ، ويصب في القرن في أعلى حبونة  
وفيه من القرى :

- |              |                                 |
|--------------|---------------------------------|
| ( ١ ) الأرنب | ( ٤ ) آل كهبان وهم كبار وادعة . |
| ( ٢ ) الشعب  | ( ٥ ) ملحمة                     |
| ( ٣ ) الملف  |                                 |

٥ — وادي طلحة : وهو واد صغير يدفع مياهه في طرف « الذراع » وهي  
قرية يعالوها « سيل الحمرة » ، وليس في الوادي سواها .

٦ — وادي رشاد : وأوله قرية « آل جزقة » ، وتليها قرية « آل يلى » ،  
ويصب في « القرن » ثم في حبونة .

هذه الأودية الستة هي أصل وادي حبونة ، أحد الأودية الستة التي ذكرنا أنها  
تصفي السطح الشرقي للمائل لبلاد السراة ضمن المملكة العربية السعودية .  
ويصب في حبونة أيضا واديان آخران في بلاد « يام » هما وادي « الهداده » ،  
ووادي « الحرشف » .

والطرق الممتدة من بلاد وادعة إلى ما جاورها شتى أهمها :

- |                          |                                 |
|--------------------------|---------------------------------|
| ( ١ ) طريق عقبة الخشبة . | ( ٥ ) طريق القم وعلبين ، وهي    |
| ( ٢ ) طريق هفاص .        | طريق اليمن .                    |
| ( ٣ ) طريق شجع .         | ( ٦ ) طريق سعد الكامل .         |
| ( ٤ ) طريق المصلولة .    | ( ٧ ) طريق الخناق وبدر وحبونة . |

## ٢ — نسب قحطان وأقسامها

يطلق على هذه القبيلة اسم قحطان بن عامر ، والأولى أن تكون قحطان بن  
عمرو بن الحلف بن قضاة ، وقحطان أخو خولان بن عمرو الذي منه قبائل كثيرة

في اليمن وتهامة . وقحطان من القبائل العربية المعاصرة في المدد والعدة ، ومنها فروع متحضرة وفروع عشائرية لا تزال على البداوة في عسير ووادي الدواسر ونجد ، ويجتمع بها في أحد أجدادها الأعلين قبائل بني خالد وبني هاجر وسواها . ولن نذكر هنا إلا أقسام قحطان المقيمة في جهات عسير بين وادعة وبيام وعسير وشهران . من الجنوب والغرب والشمال وبين وادي الدواسر من الشرق . ويمكن تحديد ديار ما سذكروه من أقسام قحطان بأنها واقعة في أعلى وفي مجرى وادي تثايش . ووادي بيشة<sup>(١)</sup>

ويمكن تقسيم قحطان إلى الأقسام الخمسة الآتية :

أولا — بطن رُقَيْدَة . وأميرهم ابن سام الذي ذكرنا أن علو بيشة يسمى باسمه .

وفي هذا البطن ستة أفخاذ هي :

- |                  |                                      |
|------------------|--------------------------------------|
| ( ١ ) دُعَيّ     | ( ٣ ) جارمة وخطاب                    |
| ( ٢ ) بنو قيس    | ( ٤ ) الحف ووقشة ومن وقشة آل الحجل . |
| ( ١ ) الجهرة     | ( ٥ ) آل مفتاح                       |
| ( ٢ ) آل علي     | ( ٦ ) آل مكاذب                       |
| ( ٣ ) آل الحلالي | ( ٧ ) آل السري                       |
| ( ٤ ) آل مفرج    |                                      |

ثانيا : بطن بني بشر . وأميرهم ابن ثقفان ، وفيه العشائر الآتية :

- |                |                |
|----------------|----------------|
| ( ١ ) آل عرفان | ( ٣ ) آل محمد  |
| ( ٢ ) الحيان   | ( ٤ ) آل فرحان |

ولبشر أتباع في تهامة هم :

- |                |              |
|----------------|--------------|
| ( ١ ) آل مسعود | ( ٢ ) آل علي |
|----------------|--------------|

(١) انظر تفاسيل وادي بيشة فيما سبق

(٣) آل حسان

(٥) آل سالم

(٤) آل الحسن

ثالثاً : سنحان الحباب . وأميرهم الحميداني ، وفيه العشار الأتية :

(١) الزربا

(٤) الرشدة

(٢) الغازي

(٥) آل شوكان

(٣) آل الشريف

ولهم في تهامة أتباع أهمها ما يأتي :

(١) آل حجل

(٧) آل عمس

(٢) « ساري

(٨) « مفتاح

(٣) « مداوي

(٩) « مَعِينَة

(٤) « غائضة

(١٠) « مشاش

(٥) « النعير

(١١) « سعيد

(٦) حَيَّان

رابعاً : بطن عبيدة . وأميرهم ابن شفلوط ، ويمكن قسمته إلى فخذين : « آل

الصقر » و « آل الحارث » . وفيه من العشار ما يأتي :

(١) الفهر

(٩) آل علي

(٢) آل مهدي

(١٠) آل زهير

(٣) « معمر

(١١) آل الكرعان

(٤) العرجان

(١٢) آل زيدان

(٥) حمالة

(١٣) آل الجرو

(٦) الحرقان أو آل سليمان

(١٤) الجرابيع

(٧) المساردة

(١٥) العبس

(٨) آل سلمان

(١٦) آل عائد

(٢١) العرين	(١٧) آل قريش
(٢٢) البسام	(١٨) آل الجلدة
(٢٣) المنادية	(١٩) بنو طلق
	(٢٠) الوهابة

خامساً : بطن شريف ، وكبيرهم دليم بن محمد أبو امشة ، وأقسامهم كما يأتي :

(١) آل سريع	(٤) آل عبد القادر
(٢) بنو يزيد ومنهم ابن دليم	(٥) بنو أوس
(٣) بنو هاجر	(٦) آل داود .

### ٣ - وادي تثليث

ينبع وادي تثليث من بلاد قحطان ، ولذلك رأينا ضرورة ذكره في هذا الموضع من الكتاب مع ذكر روافده الكثيرة التي تمتد بأقطار بلاد قحطان ، مثلما ذكرنا من قبل بعض الروافد التي تمتد من بلاد شهران في بلاد قحطان تسعة أودية تقوم عليها قرى عامرة هي أساس وادي تثليث ، وهي اعتباراً من الجنوب إلى الشمال كما يلي :

أولاً : وادي النصب : وأساسه واديان :

أ - وادي الجمع ، وفيه قرىتان :

(١) آل حازب	(٢) آل حيان .
-------------	---------------

ب - وادي جناب ، وفيه ثلاث قرى :

(١) آل سعد .	(٣) « الزبيرى .
(٢) آل الهوى .	

ثانياً : وادي سروم : وتقوم على أطرافه القرى الآتية :

(١) القعدة .	(٢) آل حنى .
--------------	--------------

( ٣ ) السلاطين .

( ٥ ) ابن قماش .

( ٤ ) الجهاوات .

( ٦ ) آل البازم .

ثالثاً : راحة سنحان : وفيه من القرى :

( ١ ) آل الحمري .

( ٣ ) الأشعث .

( ٢ ) « عيضة » .

( ٤ ) آل عمران .

رابعاً : راحة شريف : وفيه من القرى :

( ١ ) الحوط .

( ٥ ) القضاة .

( ٢ ) القروات .

( ٦ ) المنفلان .

( ٣ ) آل شمّانح .

( ٧ ) أمّ ظاهرة .

( ٤ ) « المونس » .

( ٨ ) الفيض .

خامساً : وادي الحرجة ، وفيه قريتان :

( ١ ) خيسر .

( ٢ ) الحرجة ، وهي مركز هام للتجارة مع اليمن وعلى الأخص تجارة البن .

سادساً : وادي محلاة ، وفيه ثلاث قرى :

( ١ ) البفصة .

( ٢ ) آل صبرة .

( ٣ ) آل داود .

سابعاً : وادي يعوص ، وفيه من القرى :

( ١ ) العقدة .

( ٥ ) آل مسleme .

( ٢ ) بنوهاجر .

( ٦ ) « الباس » .

( ٣ ) أهل النقعة .

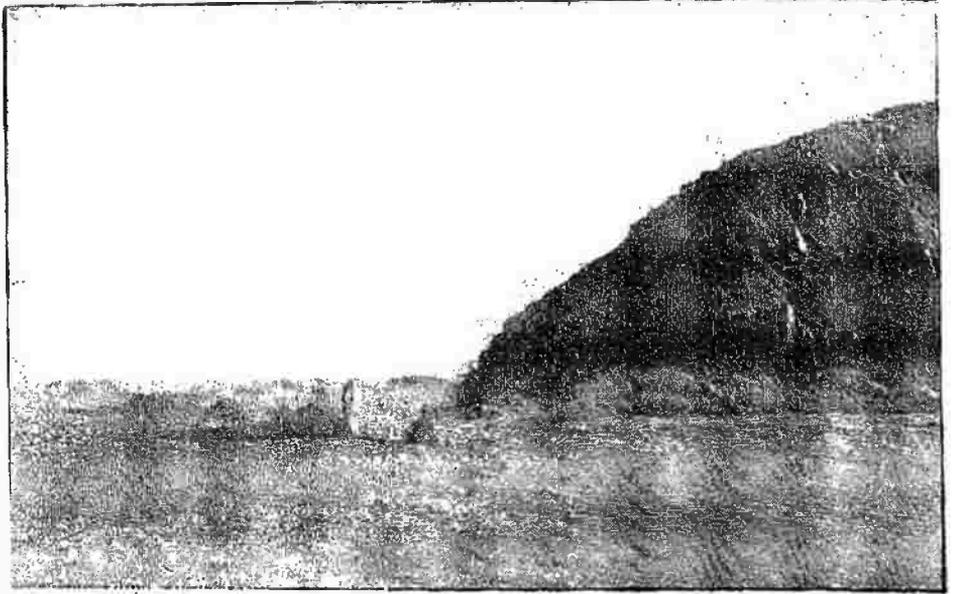
( ٧ ) « شارد » .

( ٤ ) آل سامر .

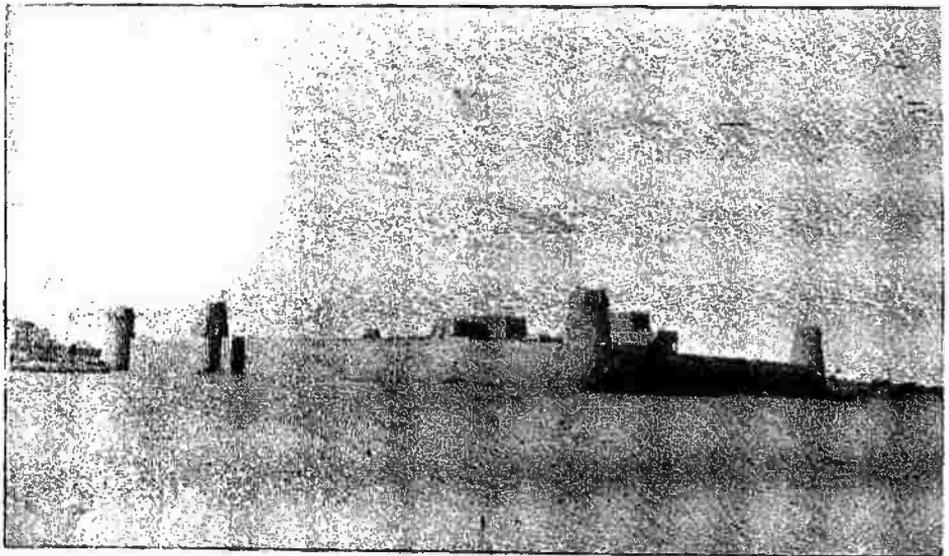
( ٨ ) « الكولة » .



رقصة الحرب « الدبكة » عند أهل نجران



وادي « تليلث »



قلعة بيشة

(٩) آل سيف . (١١) الحظيرة ، وهي مقر ابن دليم .

(١٠) « الطيق .

ثامناً : وادى الوقيرة ، وفيه من القرى :

(١) آل شَرِيَّة . (٣) آل طلفحان .

(٢) « مقامر .

ثاسعاً : وادى الحظيرة ، وفيه من القرى :

(١) الحظيرة . (٣) الخضرا .

(٢) دهسل . (٤) العنابس .

والأودية التي ذكرناها تعود إلى بطون « بنى بشر » و « سنجان الحباب » و « شريف » من قحطان . أما « عبيدة » و « رُقَيْدَة » فإن أوديتها تتبعه إلى ناحية بلاد شهران وتثليث ، ولذا فإننا — عدا ما ذكرناه — نذكر فيما يلي أهم الأودية التي ترفد وادى تثليث .

يذكرون أن وادى تثليث كان ماكا لعمر بن معدى كرب ، ولكنني أرجح أن يكون عمرا قد ملك أواسط الوادى الذى تقوم عليه في زماننا الحاضر قرى وهجر لبعض عبيدة من قحطان ، أما أن يكون ملك الوادى من منبعه إلى مصبه فذلك ما أستبعده .

طلبت من مترك بن شفلوط شيخ عبيدة أن يصف لى الوادى ، متبعاً في ذلك

مجره من علوه إلى مصبه ، فوصفه لى على النحو الآتى :

علو تثليث فى الخوايس أى المناقع التى عند سنجان والحرجة وبلاد شريف ، ويجول منها متجها إلى الشمال حتى يصل بعد مسيرة يوم للمطية إلى « الموا » وهو المكان الذى تجتازه طريق السيارات الداخبة إلى « الحصينية » فى أسفل وادى « حبونة » فى طريقها إلى نجران ، ثم يتقدم من « الموا » إلى مسيرة نصف يوم للمطية حتى يبلغ « الحمضة » وهى قرية فى بطن تثليث تخص « آل مسفر » من

« آل مسعود » من « آل الجمل » من « قحطان ». ومن الحمضة يتجه إلى « الحفائر » وهو ماء في البادية بينه وبين الحمضة ثلاث ساعات ، ثم على مسير ساعة يصل إلى « النقرة » وهي هجرة لابن عبّود من قحطان ، وفي هذا المكان يصب في الوادي سيل سراة عبيدة المسمى « طريب » الذي تقوم عليه هجرة « السبيخة » ببلد محدثي ابن شفلوط . ويتجه الوادي من هذا المكان إلى « الكهّيف » وهي هجرة لآل سعد التاميين لابن لبدة من قحطان ، وبجوار هذه الهجرة قرية أخرى لآل سويدان التاميين لابن عبود من قحطان ، ثم ينحدر إلى « بزيز » وهي على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « جينة » على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « مَلَح » مسيرة نصف يوم ، ثم ينحدر إلى أن ينتهي بعرق « الختمية » الفاصل بين تثليث ووادي الدواسر .

وقد فاض تثليث عام ١٣٣٧ (١٩١٨) فيضانا عظيما ، فكسر العرق الرملّي الذي يحجزه عن وادي الدواسر عند الختمية ، وطغى على وادي الدواسر ، وجرف كثيراً من بلدانه . وقد ذكر لي الأمير عبد الله بن معمر الذي كان أميراً على الدواسر إذ ذاك أن السيل مكث أياما كثيرة لا يمكن مغالبتها ، ولذلك سمي المكان الذي اخترقه السيل في العرق الرملّي المنكسر « مفجر الختمية »

وفيما يلي الأودية الرئيسية التي يمكن القول بأنها ترفد وادي تثليث خلاف الأودية المار ذكرها :

أولا : سيل سراة عبيدة من قحطان أو سيل طريب وهو ليس بعيداً عن وادي ياشة ابن سالم ، ويمر بالسبيخة ببلد ابن شفلوط على بعد ٤٩ كيلومترا من خميس مشيط ، ويتجه منها إلى « جاش » ثم يلتقي بتثليث عند « النقرة » ببلد ابن عبود كما مر .

ثانيا : سيل المييج : ويطلع من أودية « بنى طلق » عند « الخنقة » ، ويمر في « الرحيق » ، ويلتقي بتثليث في « الحفائر »

ثالثاً : وادى المسيرق . وهو مجتمع ثلاثة أودية كبيرة :

١ — وادى الشيق المار ذكره فى الفصل الخامس ببلاد خيبر من شهران

٢ — وادى السليل المار ذكره فى وصف الطريق بين خيبر وتندحة

٣ — وادى خيبر نفسه .

وتجتمع هذه الأودية الثلاثة عند بلدة خيبر وتصب فى وادى « ثفن » الذى يمارض تثليث وراء جاش .

رابعاً : سيل القاعة : ويطلع من « عقدان » وهو ماء إلى الغرب من شعيب « طريب »

ويسير إلى بلدة اسمها « يعرى » لقبيلة ناهس من شهران ، ثم يلتقى بسيل « الطريسة »

ثم يصب فى طريب عند « الجثوة » فوق السبيخة بمسيرة ساعة .

٤ — قرى قحطان

ذكرنا فى النبذة الثانية من هذا الفصل أسماء الأودية والقرى العائدة لبطون

سنحان وشريف من قحطان ، والآن نذكر أسماء قرى « رُقَيْدَة » و « عبيدة »

و « بنى بشر » ، وعذرى فى ذكرها ، مع علمى بأن هذا البحث جاف ، رغبتى فى

أن أجمع للمرة الأولى أسماء جميع الأودية والشعبان والقرى فى بلاد عسير وماحققتها

كى تكون مرجعاً للمطالعين المدققين .

أولاً : قرى بطن رقيقة :

١ — قرى فخذ الحنف : ويسمى أهلها « لحاف »

(١) العكاشة	(٦) آل على	(١١) بنى وهب
(٢) الحيفا	(٧) آل بايع	(١٢) آل لوط
(٣) القرن	(٨) المطحاء	(١٣) الشاعر
(٤) آل حلامى	(٩) آل عاصم	(١٤) الدمام
(٥) آل بحديلة	(١٠) الصمخبة	(١٥) آل السر (امسر)

ب — قرى فخذ وقشة :

- |                 |              |               |
|-----------------|--------------|---------------|
| (١) بلحى        | (٥) المصياد  | (٩) وادى حارث |
| (٢) آل أبى صبيب | (٦) الضور    | (١٠) آل خزيم  |
| (٣) الحجر       | (٧) آل القصف | (١١) القرن    |
| (٤) الحرقان     | (٨) آل خيش   | (١٢) المييص   |

ج — قرى فخذ آل الجبل :

- |             |               |             |
|-------------|---------------|-------------|
| (١) الديبة  | (٤) المحشوش   | (٦) الصفرا  |
| (٢) المجمع  | (٥) آل ابن حى | (٧) المراغة |
| (٣) آل نجمة |               |             |

د — قرى فخذ قيس :

- |             |           |           |
|-------------|-----------|-----------|
| (١) الجوف   | (٢) لزمة  | (٣) اللرب |
| (٤) الحظيرة | (٥) الربة |           |

ه — قرى فخذ مستنير :

- |            |           |             |
|------------|-----------|-------------|
| (١) الثنية | (١) الروغ | (٣) بالنديد |
|------------|-----------|-------------|

و — قرى فخذ دُعَى :

- |             |              |             |
|-------------|--------------|-------------|
| (١) آل كامل | (٤) المراغة  | (٧) آل مدير |
| (٢) آل مفرج | (٥) آل بريد  | (٨) آل سالم |
| (٣) آل مائى | (٦) بنى تميم | (٩) آل قصيف |

ز — قرى فخذ جارحة وخطاب :

- |             |              |                |
|-------------|--------------|----------------|
| (١) المصيق  | (٤) آل الشيخ | (٧) آل زهير    |
| (٢) القرعاء | (٥) الدر بين | (٨) يسواق      |
| (٣) غقرة    | (٦) عراب     | (٩) آل الداخسى |

(١٦) آل عمرينة	(١٣) آل الرميح	(١٠) آل العظبا
(١٧) آل عسر	(١٤) الجوف	(١١) آل السواد
	(١٥) آل شوية	(١٢) آل نادر

ثانياً : قرى بطن عبيدة :

( أ ) قرى فخذ آل الصقر :

(١١) آل عقبة	(٦) آل ثابت	(١) الربة
(١٢) آل قرعة	(٧) آل مهدي	(٢) آل كنبه
(١٣) آل بسم	(٨) آل حبيل	(٣) آل جلده
(١٤) آل سليمان	(٩) آل جبرة	(٤) آل الشوف
	(١٠) آل قريش	(٥) القضعان

( ب ) قرى فخذ آل معمر :

(١٨) الوادي الأبيض	(١٠) آل دريم	(١) سحيان
(١٩) الحراملة	(١١) الحميد	(٢) الربيع
(٢٠) آل زليق	(١٢) آل نميلة	(٣) الحدباء
(٢١) آل كلب	(١٣) الخرمة	(٤) الحظير
(٢٢) المجاذعة	(١٤) الوهابة	(٥) الجرذاء
(٢٣) ابن خطاب	(١٥) آل مهروي	(٦) آل عربيدة
(٢٤) الأشاعرة	(١٦) آل محاصر	(٧) الزهرة
(٢٥) ابن الورد	(١٧) آل سلمان	(٨) الفلقة
		(٩) الهواجر

( ح ) قرى فخذ بني طلق :

(٥) عنجة	(٣) الرهط	(١) آل خضير
(٦) آل مفرى	(٤) القفعايس	(٢) زهير

(٧) آل دكيم  
(٩) الصفاق  
(٨) آل مذعان  
(١٠) آل الحرد

(٥) قرى فخذ طريب والعرين :

(١) الجرايع (٤) رغبة (٧) وهبة  
(٢) الفرس (٥) آل كريمان (٨) آل عرفان  
(٣) الحراملة (٦) آل جابر (٩) آل أبي نهار

ثالثاً : قرى بطن بني بشر :

(١) العسران (١٢) الجهمة (٢٣) الزاوية  
(٢) آل شياع (١٣) قحيم (٢٤) آل الثنا  
(٣) عثمان (١٤) الدرب (٢٥) شبيرمة  
(٤) المحافظ (١٥) ابن النمر (٢٦) مثاب  
(٥) آل سارغة (١٦) فرحان (٢٧) دارمة  
(٦) آل عازب (١٧) ابن عاطف (٢٨) ابن كليب  
(٧) حمالة (١٨) العبيدية (٢٩) ابن مظهر  
(٨) المقيق (١٩) آل عطيف (٣٠) الجوبة  
(٩) العرابة (٢٠) آل ظالم (٣١) آل مكر  
(١٠) آل الخلف (٢١) الزهرة (٣٢) سهيب  
(١١) الوسط (٢٢) آل مانع (٣٣) أهل سعيا

ويلاحظ بكل جلاء أن أكثر الأسماء الواردة إنما هي في الواقع في أسماء فروع

القبائل الساكنة في القرى نفسها ، وهذا الاستعمال ناشئ عن تغلب اسم القبيلة على اسم القرية نفسها .

## الفصل السادس

### رجال ألمع ورجال الحجر

نسب ألمع وأقسامها - فرى ألمع وأوديتها - رجال الحجر - قبيلة بني شهر - قضاء محائل .

#### ١ - نسب ألمع وأقسامها

تقع بلاد ألمع إلى الغرب من بلاد قبيلة عسير ، وتناخها في منقلب السراة الغربي التي يسميها أهلها « الطور » ، وأهل البلاد يحسبون ألمع تهامة لعسير . وقد غلبت على ألمع تسميتها برجال ألمع ، مع أن « رجال » إحدى البلديتين الشهيرتين : « رجال » و « الشعبين » في هذه المنطقة كما سنذكره في موضعه . أما القبيلة نفسها فلم أستطع التثبت من كونها قبيلة « ألمع » أو أنها قبيلة « آل مع » كما أرجح ، ثم حرفت فأصبحت « ألمع » .

وتنسب قبيلة ألمع إلى « أزد شنودة » . ويهيم جيرانهم بأنهم من بني قريظة نظراً لتقاربهم وكثرة فسادهم وشرورهم . وينضوى تحت لواء القبيلة الأصلية الأزدية فرقتان هما : « أهل صلب » و « بنو زيد » وأصلهما من بكر مثل أهل الدرب ، إلا أن هذا التمييز في الأصول فقط لا في العادات والمعاملات .

وتمتد ديرة ألمع على سفوح الطور الغربية مما يصاقب بلاد عسير من جنوبها إلى شمالها ، والصلات بين البلدين كثير ومتينة . وألمع تابعة لعسير اسماً في هذه الأيام ، وقد كانت تابعة لها أيام سلطانها وغلبيتها ، وكانت أيام الحكومة العثمانية « قائمقامية » مرتبطة بمركز « المتصرفية » في أبها ، وهي في وقتنا الحاضر قضاء تابع لأمارة أبها أيضاً .

يختلف أفراد ألمع عن مجاورينهم من عسير بعدة صفات ، ويمكن حسابهم من المحضرمين بين قبائل تهامة وقبائل عسير من حيث عاداتهم ولباسهم ومظهرهم ،

أما من حيث قاماتهم فقد لاحظت أنه يقلب عليهم شكل القبائل اليمنية بقصر قاماتهم ونحافة أجسامهم وأشكال رؤوسهم ووجوههم . إلا أن فيهم ظاهرة غريبة جداً بادية في لون العيون ، فإن كثيرين منهم ذوو عيون خضراء مائلة إلى الزرقاء . أما من ناحية الشكل الظاهر فإن ملابسهم لا تشبه ملابس أهل عسير لافي لونها ولا في تفصيلها ، بل هي خضراء دكناء تكسبهم شكلاً فذاً في بابه . ولهجتهم قريبة من لهجة أهل عسير القاطنين سفوح الطور الغربية في قلبهم لبعض الحروف عن مخارجها وفي نطقهم للثاقف والكاف بما يشبه نطق الألمان واليونان للحاء أى بين الحاء والشين .

ويبلغ غزو ألمع ٧٠٠ مجاهد ، وقد ضوعف هذا العدد في الوقائع الأخيرة مع اليمن وكان في وسع القبيلة استبدال المجاهدين من وقت إلى آخر . وقد قدروا عدد سكانها بما لا يقل عن ٣٠ - ٤٠ ألف نسمة .

ويحيط بالقبيلة من جنوبيها بنو شعبة أهل الدرب في وادي عنود ، ومن شماليها آل موسى وبنو توعة من قبائل بارق ومخائل ، ومن شرقيها عسير بأقسامها الأربعة ومن غربها قبائل المنجحة وبنو هلال وقنا وبحرين سكيئة .

وتقسم القبيلة إلى عشرة أقسام ، غير أنها - حين الجهاد - تنضوى تحت سبعة ألوية ، والواقع أن بعض الفروع الصغيرة أرادت أن تنفصل ، لكنها داخلية ضمن الفروع الكبرى ، وفيما يلي أسماء البطون مع أفخاذها :

أولاً - بنو قطبة : مركزهم الشعبين ، ولهم أربعة فروع :

( ١ ) آل موهوب

( ٣ ) فرع يسكن الشرفة

( ٢ ) فرع يسكن الشعبين

( ٤ ) فرع يسكن مجمان

وينضوى تحت هذا البطن فخذ مستقل يعرف بفخذ « أهل العوص » .

ثانياً : بنو ظالم : وأخاذهم :

- |                   |                   |             |
|-------------------|-------------------|-------------|
| (١) آل جميدة      | (٥) آل درقة       | (٨) مهمل    |
| (٢) « السامى      | (٦) المقاصدة      | (٩) آل جائز |
| (٣) « حللما       | (٧) أهل ذنب النقر | (١٠) « عمقة |
| (٤) أهل قرية رجال |                   |             |

ويتبع « بنى ظالم » بطن يسمى « البنما » ، وفيه عشائر كثيرة ، أهمها :

- |            |              |              |
|------------|--------------|--------------|
| (١) الحارث | (٣) المشهورة | (٥) آل رقصان |
| (٢) آل هبة | (٤) آل سمى   | (٦) الخلاوية |

ثالثاً : بنو شحب : وفيهم فخذان :

أ - بنو عبد ، وهم :

- |                 |               |
|-----------------|---------------|
| (١) آل المسحم . | (٤) آل قفيل . |
| (٢) « زياد .    | (٥) « ققوة .  |
| (٣) « رادة .    |               |

ب - بنو شديدة ، وهم :

- |                |                |
|----------------|----------------|
| (١) الغمور .   | (٣) آل منفلح . |
| (٢) الصواقعة . | (٤) الخلوطة .  |

رابعاً : بنو قيس : وفيهم الأخاذ الآتية :

- |                 |                |              |
|-----------------|----------------|--------------|
| (١) آل المتعالى | (٤) أهل المرار | (٦) الصلبر   |
| (٢) آل يعلى     | (٥) آل الرصوب  | (٧) أهل شعفى |
| (٣) آل الجرعة   |                |              |

خامساً : بنو زيد ومنهم :

- |              |                |                |
|--------------|----------------|----------------|
| (١) آل حيان  | (٣) آل الرويعى | (٥) أهل دبله   |
| (٢) آل الملك | (٤) آل الشحطة  | (٦) آل النجميز |

سادساً : بنو حمونة ومنهم :

١ - آل العلاء

ب - آل جندابو

ج - آل الاحجيين ، وهم أربع عشائر هي :

(١) آل الحسين (٣) آل المسيلة

(٢) آل عبيد (٤) آل محلبة

سابعاً : أهل صلب وفيهم :

(١) آل عراف (٤) آل السروة (٦) أهل السرو

(٢) الحجره (٥) آل الشعبي (٧) جحدة

(٣) مهلين

ويطلق أهل هذه البلاد اسم « بكر » على بنى زيد وأهل صلب ، كما يطلق اسم بنى تغلب على بنى شعبة ، وربما كان هذا تشبيهاً بيكر وتغلب لاسبب نسبة صحيحة بين القبيلتين .

ويقيم بين قبيلة ألمع فريق من السادة يعرفون بالسادة « الحفاظية » ( واحد هم حفظي ) هم بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة . وقد اطلعت على كراسين مخطوطين من تأليف بعض قضاة الحفاظية اسم الأول : « الديوان المرضى » تأليف أحمد « الحفظي » . واسم الآخر : « الظل المدود ، في سيرة ملوك آل سعود » .

وكلاهما يبحث في تاريخ الحركة السلفية في نجد وبعثها على يد الإمام محمد بن سعود وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي ، وتاريخ فتح عسير وتهامة وغير ذلك من الأحداث .

## ٢ - قرى ألمع وأوديتها

بلاد ألمع مجموعة جبال ووديان . وأهم الوديان التي تقوم حولها القرى الهامة أربعة هي :

أولاً : وادي حلي : ويمرّ في بلاد ثلاثة بطون من ألمع ، فعلاؤه ابني قطبة ، ووسطه ابني ظالم ، وأسفله للينأ ، وهو يطلع من الطور أي السراة ، ويصب في البحر الأحمر عند قرية مخشوش المسماة حلي ابن يعقوب ، وتقع عليه القرى الآتية :

- |              |                             |                               |
|--------------|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) العوص    | (٧) مندر العوص              | (١٣) الحارث وهي أول قرى البنا |
| (٢) المشايخ  | (٨) ضاحية أول قرى ابني ظالم | (١٤) أهل تنومة                |
| (٣) آل مبيوع | (٩) الجليل                  | (١٥) أهل سمعي                 |
| (٤) الأصم    | (١٠) تعابة                  | (١٦) رتمان                    |
| (٥) غنمة     | (١١) الظهرة                 | (١٧) ردام                     |
| (٦) الجرعة   | (١٢) الفقى                  |                               |

ويتهى العمران عند ردام إلى مسافة سرحلتين للمطية حتى يصب الوادي في البحر عند حلي ابن يعقوب . ويصب في هذا الوادي أودية كثيرة أهمها وادي الشعين . الذي يدفع في مندر العوص ، ووادي عمقة ابني ظالم يصب في وادي حلي بقرب ثقي . وتقوم عليه ثلاث قرى : عمقة ، والرديف ، والحريزة .

ثانياً : وادي كسان : علاؤه ابني ظالم ووسطه لقيس وأسفله ابني جوننة ومنتهاه لأهل صلب . ينبع من جبل قوة ، وتقوم عليه القرى الآتية :

- |                      |            |                    |
|----------------------|------------|--------------------|
| (١) رجال قرية مشهورة | (٥) رحبي   | (٩) الدير لأهل صلب |
| (٢) البيح            | (٦) العطفة | (١٠) الحبيب        |
| (٣) البتيلة لقيس     | (٧) الضيق  | (١١) شط مبكة       |
| (٤) القفا لابي جوننة | (٨) محليّة |                    |

وبعد شط ميكة يجرى الوادى فى القفر إلى أن يدفع فى البحر بقرب القحمة .

ثالثاً : وادى ريم : اشحب ويطلع من جبل شحب و يصب فى كسان عند حدود

أهل صلب ، ويتفق الواديان ويصبان معا فى القحمة ، وتقع على الوادى القرى الآتية :

( ١ ) الصدارة	( ٤ ) الباخة	( ٦ ) ذو المصون
( ٢ ) شوحة	( ٥ ) ضلاع	( ٧ ) الأثل
( ٣ ) عكبة .		

رابعاً : وادى حسوة : وهو لقيس وبنى يزيد ، ويطلع من الطور بقرب العوص ،

و يصب فى درب بنى شعبة ، أى فى ملتقى وادى ضلح بوادى عتود ، وفيه من القرى :

( ١ ) الصدر	( ٤ ) الحبله	( ٧ ) النجود
( ٢ ) الذروة	( ٥ ) الفنيان	( ٨ ) المرأفة
( ٣ ) الرصوب (٦) هيصة		

وأما القرى الجبلية فكثيرة ؛ نذكر منها فيما يلي ما كان لكل بطن من

بطون القبيلة على حدتها :

أ - قرى بنى ظالم :

( ١ ) قوة	( ٤ ) الضحى	( ٦ ) أم لوان
( ٢ ) المرواح	( ٥ ) الشرف	( ٧ ) القاربة
( ٣ ) المدرقة		

ب - قرى بنى قطبة :

( ١ ) الشرفة	( ٣ ) عُر	( ٥ ) سالع
( ٢ ) محجان	( ٤ ) شوكان	

ج - قرى قيس :

( ١ ) المرار	( ٣ ) القلة	( ٥ ) الحورة
( ٢ ) مويركة	( ٤ ) العرة	

د — قرى جونة :

- (١) المصادة (٣) وطن آل جندب (٥) المسكتة  
(٢) القارية (٤) المشبة (٦) أهل الشرف

ه — قرى أهل صلب :

- (١) المحجرة (٣) أهل السروة (٥) آل عراف  
(٢) معلن (٤) الشعبي (٦) الكرى  
(٧) أهل السرو

و — قرى شحِب :

- (١) الحجْم (٣) آل قفيل (٥) آل رادة  
(٢) آل زياد (٤) آل فقوة

ز — قرى شديدة :

(١) غمرة ، وليس لها في الجبال قرى غيرها .

أما بنو زيد فليس لهم في الجبال قرى مطلقا .

وقد أخبرني زيد بن غرارة من كبار ألمع أن قوانين القبيلة تقضى بجمعها قسمين .

١ — ألمع الشام : وتتألف من بني ظالم ، وشحِب ، والبنا ، وبني قطبة .

٢ — ألمع اليمن : وتتألف من قيس ، وجونة ، وصاب ، وبني زيد .

٣ — رجال الحجر

يطلق اسم « رجال الحجر » على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد

عسير وشهران جنوبا ، وبلاد بني شهر وبالقرن شمالاً ، وشهران شرقا ، وقبائل

محائل وبارق غربا ، والقبائل الثلاث هي : بالأحمر ، وبالأسمر ، وببنو عمرو .

وهنالك من يقول إن اسم « رجال الحجر » لا يشمل غير قبيلتي بالأحمر وبالأسمر

وأن بني عمرو ينسبون إلى الشلاوة وغيرهم .

أولاً — قبيلة بالأحر: أقرب القبائل إلى عسير ، وتبدأ حدودها اعتباراً من عقبة « شعار » وبلاد بني مالك عسير إلى أن تتصل بقبيلة بالأحمر . وتقسم القبيلة إلى الأقسام الصغيرة الآتية :

( ١ ) الجنب	( ٦ ) أهل لعبان	( ١١ ) آل محمد
( ٢ ) بنو ثعلبية	( ٧ ) نازلة	( ١٢ ) الغار بين
( ٣ ) آل الأصلح	( ٨ ) أهل هبج	( ١٣ ) آل مخلد
( ٤ ) آل القاسم	( ٩ ) آل عزّام	( ١٤ ) آل العلوى (امعوى)
( ٥ ) آل الزيان	( ١٠ ) أهل بهاون	

ويتبعهم فى تهامة فريق يسكن قرية « فرشاط » الواقعة فى آخر ما يمتدّ إليه بصير الواقف فى أعلى عقبة شعار إلى جهة مجرى الوادى على طريق « محائل » .

وتسكن القبيلة قرى شبيهة بقرى عسير وعددها ٣٠ قرية ، عدا قرية « فرشاط »

فى تهامة ، وهى :

( ١ ) عبل	( ١١ ) آل مبارك	( ٢١ ) آل عزّة
( ٢ ) آل الضلع	( ١٢ ) أهل الطويب	( ٢٢ ) آل الصدامى
( ٣ ) آل الزيان	( ١٣ ) صبح	( ٢٣ ) آل العلوى
( ٤ ) مسفرة	( ١٤ ) آل عامر	( ٢٤ ) الزبيّة
( ٥ ) بنى ثعلبية	( ١٥ ) آل رشيد	( ٢٥ ) عبالة
( ٦ ) آل عصاة	( ١٦ ) قرابنة	( ٢٦ ) آل مُورِق
( ٧ ) الهبشة	( ١٧ ) آل رافع	( ٢٧ ) آل حسين
( ٨ ) الخلالة	( ١٨ ) جذام	( ٢٨ ) آل عمر
( ٩ ) أهل عبالهم	( ١٩ ) بيجان	( ٢٩ ) المسادين
( ١٠ ) آل مخلد	( ٢٠ ) آل كامل	( ٣٠ ) آل الشاعر

ثانياً — قبيلة بالأسمر: كبرى هذه القبيلة عبد الله بن علي بن حرمان ، وديرتها إلى الشمال من ديرة بالأحمر ، وفيها الأقسام الآتية :

- |               |                 |                 |
|---------------|-----------------|-----------------|
| ( ١ ) ذبوب    | ( ٤ ) بنو قاعد  | ( ٧ ) آل عياد   |
| ( ٢ ) آل خريم | ( ٥ ) أهل حوران | ( ٨ ) بنو جنازة |
| ( ٣ ) سدوان   | ( ٦ ) أهل الفيح |                 |
- وأما قرى هذه القبيلة فهي :

- |                |                          |                    |
|----------------|--------------------------|--------------------|
| ( ١ ) بنو مالك | ( ٣ ) القواعد            | ( ٥ ) أهل الفاضلية |
| ( ٢ ) أهل حزم  | ( ٤ ) آل الطير ( امطير ) | ( ٦ ) أهل الشبين   |

وفي تهامة فروع كثيرة تتبع « بالأسمر » ، وبعضهم يحسب أهل « فرشاط » منهم ، غير أنها في الواقع تابعة لقبيلة بالأحمر . أما الذين في تهامة من بالأسمر فهم :

- |                 |                   |                   |
|-----------------|-------------------|-------------------|
| ( ١ ) آل حماد   | ( ١٤ ) آل خالد    | ( ٢٦ ) القرعة     |
| ( ٢ ) السوق     | ( ١٥ ) آل غماد    | ( ٢٧ ) آل معلم    |
| ( ٣ ) ذوبوب     | ( ١٦ ) آل أم عقيف | ( ٢٨ ) آل ليم     |
| ( ٤ ) غاشرة     | ( ١٧ ) شغب        | ( ٢٩ ) آل مداد    |
| ( ٥ ) وعلام     | ( ١٨ ) مضوعى      | ( ٣٠ ) آل المعتلى |
| ( ٦ ) آل عمير   | ( ١٩ ) أم قشيع    | ( ٣١ ) ششة        |
| ( ٧ ) عطيفة     | ( ٢٠ ) الجزعة     | ( ٣٢ ) عتمة       |
| ( ٨ ) الحظيرة   | ( ٢١ ) العطفة     | ( ٣٣ ) محرز       |
| ( ٩ ) آل رزق    | ( ٢٢ ) رحبي       | ( ٣٤ ) آل مسهل    |
| ( ١٠ ) القرى    | ( ٢٣ ) القرسة     | ( ٣٥ ) أسود       |
| ( ١١ ) آل مطرق  | ( ٢٤ ) عينين      | ( ٣٦ ) ريدان      |
| ( ١٢ ) محور     | ( ٢٥ ) البطين     | ( ٣٧ ) مارذ       |
| ( ١٣ ) أبو خشرة |                   |                   |

ثالثاً — قبيلة بنى عمرو : تقع ديار هذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأحرى وبالأسمر .

٤ — قبيلة بنى شهر

قبيلة بنى شهر من أهم القبائل العربية على السراة ، ويحدها من الشمال : غامد وزهران وبالقرن ، ومن الجنوب : رجال الحجر ، ومن الشرق : يشة وشهران ، ومن الغرب : قبائل القنفذة . وكانت بلاد هذه القبيلة أيام الحكومة العثمانية « قضاء » فيه قائم مقام مركزه بلدة « النحاص » أكبر قرى القبيلة . وكانت القبيلة وقتاً ما تابعة للسيد محمد على الإدريسي ، غير أنها كانت أقرب إلى مكة منها إلى صيدا أو أبها ، وذلك بسبب أواصر النسب بينها وبين الأشراف في مكة ، ومنذ قيام الحكومة الحاضرة أتبعته لإمارة عسير ، أسوة بالقبائل السابق ذكرها فيما مرّ من الكتاب ، وبالقبائل التي سنذكرها في التبذة الآتية .

وقد اختلف في تقسيم القبيلة وتفرعها ، فبعضهم يعتبرها أربعة أقسام والبعض الآخر يعتبرها قسمين ، إذ أن الإدريسي — حينما كان حاكماً — قسم بنى شهر إلى قسمين :

١ — سلامان ، ويتبع المسبلي .

٢ — بنو أثلة ، ويتبع الشبلي .

ولسكنه لم يتبع طريقة معينة في إدخال الفروع في هذين الأصلين ، ولم يتبع التسلسل بالميلاد ، بل كان تقسيمه على حسب اجتهاده . وقد ألغى هذا الترتيب الآن ، وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعاً للعنومات التي ورثتها القبيلة والتي تقضى بقسمتها إلى الأقسام الموضحة فيما يلي :

أولاً : بطن شهرة الأمين أو الكلازمة : وتبعه الأخاذ الآتية :

( ٣ ) بنو جبير

( ١ ) بنو بكر

( ٤ ) آل ابن ريثاع

( ٢ ) بنو قشير

ولهذا البطن أتباع في تهامة هم : فخذ عَيْس ، وفيه من العشائر :

- |                 |               |
|-----------------|---------------|
| ( ١ ) أهل الحيد | ( ٣ ) الحصنة  |
| ( ٢ ) آل عبيد   | ( ٤ ) آل عمار |

ثانياً : بطن العواصر ، وتتبعه الأخاذ الآتية :

- |                 |               |               |
|-----------------|---------------|---------------|
| ( ١ ) بنو مشهور | ( ٤ ) آل سودة | ( ٧ ) كنانة   |
| ( ٢ ) بالحصين   | ( ٥ ) ملبيح   | ( ٨ ) بنو لام |
| ( ٣ ) آل بهيش   | ( ٦ ) دحيم    |               |
- وأتباع العواصر في تهامة هم : أهل أترب ، وصيون وأقسامهم :
- |               |                 |              |
|---------------|-----------------|--------------|
| ( ١ ) آل يحمد | ( ٣ ) آل محجوبة | ( ٥ ) العصمة |
| ( ٢ ) آل يعلى | ( ٤ ) آل محباشي |              |

ثالثاً : بطن بالحرث أهل الشعفين ، أو أهل وادي تنومة ، وفيه الأقسام الآتية :

- |                 |                |                 |
|-----------------|----------------|-----------------|
| ( ١ ) أهل تنومة | ( ٣ ) حبيبة    | ( ٥ ) آل الصعدي |
| ( ٢ ) آل دحمان  | ( ٤ ) الجهاضمة | ( ٦ ) الحصون    |
- ولهذا البطن في تهامة أتباع في نَعَص والمنظر وَبِجْرَة ؛ وأكثرهم من البدو الرُّحَل

رابعاً : بطن بنى التميم ، وفيه الأقسام الآتية :

- |               |                |
|---------------|----------------|
| ( ١ ) آل وليد | ( ٣ ) آل زيدان |
| ( ٢ ) آل ليلح | ( ٤ ) خشرم     |

وأتباعهم في تهامة :

- |                |                 |
|----------------|-----------------|
| ( ١ ) بنو حسين | ( ٥ ) بنو مخلد  |
| ( ٢ ) بالمجدع  | ( ٦ ) آل شغيب   |
| ( ٣ ) بنو زهير | ( ٧ ) آل حميت   |
| ( ٤ ) الماردة  | ( ٨ ) آل الأملح |

وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها هما :

١ — شهر الشام . وفيه ثلاثة أقسام :

( ١ ) بنو ثابت ، وقريتهم السروة

( ٢ ) بنو الأوس

( ٣ ) أهل القبل

ب — قبيلة تربان : وهم بدو رحّل مازالوا على الفطرة يسكنون المغاور والكهوف

وحالتهم الاجتماعية في غاية الانحطاط .

وللقبيلة بنو شهر أسواق أسبوعية شهيرة ، نذكر أهمها فيما يلي :

١ — سوق تنومة في قرية آل صفوان يوم السبت

٢ — سوق عبس « الأحد

٣ — سوق المجازة « الاثنين

٤ — سوق الناص في قرية العسابة « يوم الثلاثاء

٥ — سوق شهرة الأمين في السرو « الأربعاء

٦ — سوق بنو التيم في قرية الخضرة « الخميس

٧ — سوق أترب « الجمعة

أما قرى القبيلة فتزيد على المائة ، مما يدل على غناها وأهيتها ، وهي :

( ١ ) التماحي ( ٢ ) منعا ( ٣ ) المركبة ( ٤ ) آل ثابت

( ٥ ) السنظوف ( ٦ ) شعبية ( ٧ ) المتن ( ٨ ) النصاب

( ٩ ) روق ( ١٠ ) الخفير ( ١١ ) الصمدة ( ١٢ ) سدومة

( ١٣ ) خصيري ( ١٤ ) الوهدة ( ١٥ ) الحلقة ( ١٦ ) بيضان

( ١٧ ) آل عمر ( ١٨ ) آل حفص ( ١٩ ) ربع هزاع ( ٢٠ ) الوطا

( ٢١ ) ما ولد على ( ٢٢ ) السوق ( ٢٣ ) المهدي ( ٢٤ ) الصبيات

( ٢٥ ) الفنن ( ٢٦ ) التيس ( ٢٧ ) القرعة ( ٢٨ ) آل محمل

( ٢٩ ) الفضول	( ٣٠ ) حَبِّي	( ٣١ ) القلت	( ٣٢ ) مجابوب
( ٣٣ ) البرزوة	( ٣٤ ) آل ايدى	( ٣٥ ) العماسية	( ٣٦ ) مجدل
( ٣٧ ) العامسة	( ٣٨ ) آل سعد	( ٣٩ ) العرف	( ٤٠ ) آل حسين
( ٤١ ) الالهة	( ٤٢ ) الميغى	( ٤٣ ) معمع	( ٤٤ ) آل صفوان
( ٤٥ ) زينب	( ٤٦ ) البردة	( ٤٧ ) ملبيح	( ٤٨ ) آل مرحب
( ٤٩ ) الحدب	( ٥٠ ) الملا	( ٥١ ) آل سلام	( ٥٢ ) منعا المجدل
( ٥٣ ) الطرف	( ٥٤ ) شَرِي	( ٥٥ ) آل حشاة	( ٥٦ ) آل يسار
( ٥٧ ) رزيق	( ٥٨ ) الحلاة	( ٥٩ ) جرادة	( ٦٠ ) آل ذخران
( ٦١ ) الشهوم	( ٦٢ ) صعبان	( ٦٣ ) عصيين	( ٦٤ ) آل معافى
( ٦٥ ) الأخص	( ٦٦ ) صخيف	( ٦٧ ) قويس	( ٦٨ ) آل مروح
( ٦٩ ) آل عريف	( ٧٠ ) الشرف	( ٧١ ) الدحمان	( ٧٢ ) العوصا
( ٧٣ ) جار	( ٧٤ ) غلبة	( ٧٥ ) فيلثة	( ٧٦ ) الدهنا
( ٧٧ ) آل بهيش	( ٧٨ ) القرية	( ٧٩ ) الفذال	( ٨٠ ) الخربة
( ٨١ ) منزل العشر	( ٨٢ ) أهل عرصرة	( ٨٣ ) الحصون	( ٨٤ ) عطية
( ٨٥ ) مرزوق	( ٨٦ ) آل رحمة	( ٨٧ ) آل ناشر	( ٨٨ ) آل غفيقة
( ٨٩ ) المدانة	( ٩٠ ) العرق	( ٩١ ) مسامة	( ٩٢ ) آل قحطان
( ٩٣ ) خصرا	( ٩٤ ) مجيرة	( ٩٥ ) آل طوير	( ٩٦ ) الشبرقة
( ٩٧ ) قبيس	( ٩٨ ) الحلقة	( ٩٩ ) الحباوة	( ١٠٠ ) القيم
( ١٠١ ) أريامة	( ١٠٢ ) لجج	( ١٠٣ ) خشم	

٥ - قضاء محائل

قضاء محائل من توابع إمارة عسير، وهو على طريق المسافرين من أباها إلى القنفذة،

وفيه من القبائل خمس هي :

١ — قبيلة الرّيش : ولها من القرى :

- |                  |               |            |
|------------------|---------------|------------|
| (١) أم شعتر      | (٤) الحماطة   | (٦) أم كدس |
| (٢) شعبين        | (٥) قرن الماء | (٧) أم حضن |
| (٣) معشى أم حُضو |               |            |

ب — قبيلة آل مشول : ويحسبها بعضهم من الرّيش . وفضلنا أفرادها

بالبحث ، ولها من القرى :

- |                  |             |           |
|------------------|-------------|-----------|
| (١) حصن أم خيالة | (٢) أم ظاهر | (٣) الماخ |
|------------------|-------------|-----------|

ج — قبيلة آل الدريب : وقراها :

- |          |          |            |                    |
|----------|----------|------------|--------------------|
| (١) شرقش | (٢) مصبح | (٣) الراحة | (٤) العين أو أمعين |
|----------|----------|------------|--------------------|

د — قبيلة آل موسى : وقراها :

- |                |             |            |
|----------------|-------------|------------|
| (١) بلدة محائل | (٥) آل عمر  | (٨) الثبجة |
| (٢) المعشى     | (٦) آل عيسى | (٩) أم صحف |
| (٣) أم نصب     | (٧) مقهب    | (١٠) محصن  |
| (٤) أم جريان   |             |            |

ه — قبيلة بني ثُوَعة : وقراها :

- |                  |                  |                          |
|------------------|------------------|--------------------------|
| (١) أم بطح       | (٥) قرين         | (٨) أهل سامة             |
| (٢) آل غنية      | (٦) أهل البدلة   | (٩) أهل العيدة أو أمعيدة |
| (٣) آل مشيدة     | (٧) حسن بن شاطبة | (١٠) آل قبيس             |
| (٤) الشط أو أمشط |                  |                          |